www.Olamaa.net

المجلس الإسلامي العلمائي
Olamaa Islamic Council
دائرة الكتابة والتأليف

سماحة العلامة السيد عبد الصادق العزقي

الإمامُ الخاتمُ

سماحة العلامة السيد عبد الله الغريفي

هُوية الكتيِّب

الاســـــــــم: الإمامة الخاتمة

الـتَّـــألـــيـــف: مقتبس من أحاديث سماحة العلَّامة السَّيِّد عبد الله الغريفي

الإصـــــــدار: المجلس الإسلاميّ العلمائيّ

الإعـــــــداد: دائرة الكتابة والتَّأليف

التَّدقـيق اللُّغوي: الشَّيخ حسين الطَّويل

الـطَّـبـعـــــة: الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

تصميم وإخراج: محسن الخبَّاز

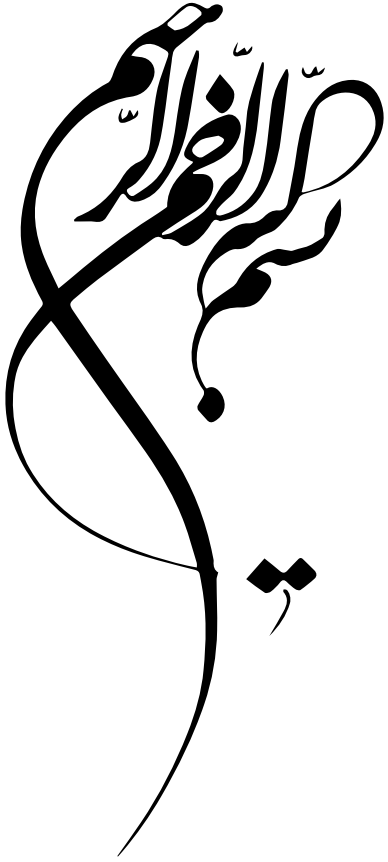
بسم الله الرحمن الرحیم

الفهرس

المقدمة ١١
توطئة ١٣
اثنا عشر إمامًا ١٣
فمن تكون هذه النُّخبة؟ ١٣
النموذج الأوَّل: محاولة ابن العربي ١٤
متى بدأت إمامته عليه السلام؟ ١٦
من الأدلة على وجود الإمام المنتظر: حديث الأئمَّة الاثني عشر ١٨
اتِّجاهان خاطئان ١٩
الاتِّجاه الأوَّل: إنكار فكرة المهدي المنتظر ١٩
الاتِّجاه الثاني: تحريف فكرة الإمام المهدي ٢١

الفصل الأوَّل

ما قبل الغَيْبَة

من ملامح عصر الإمام العسكري ٢٥
ما هي الأساليب المعتمدة للتَّهيئة لمرحلة الغَيْبَة؟ ٢٧
أوَّلًا: فرض حالة من التَّكتُّم الشديد على ولادة الإمام المهدي عليه السلام ٢٧
ثانيا: صدرت رواياتٌ مكثفة تتحدّث عن ظاهرة (الغَيْبَة واختفاء الإمام) ٢٧

ثالثًا: تكثيف ظاهرة (الوكلاء) للأئمَّة ٢٨
رابعًا: إعداد الكفاءات القياديّة لمرحلة الغَيبة ٢٩
إجراءات إعداد الكفاءات القياديّة ٣١

الفصل الثَّاني

الغَيْبَة

حقيقة الغَيْبَة من الرِّوايات ٣٧
المرحلة الأولى: الغَيْبَة الصُّغرى ٤٠
غَيْبَتان ٤٠
سفراء الغَيْبَة الصُّغرى ٤١
١. السفير الأول: عثمان بن سعيد العَمْري الأسدي ٤٢
٢. السفير الثاني: محمد بن عثمان العمري ٤٣
٣. السفير الثالث: الحسين بن روح النوبختي ٤٤
٤. السفير الرابع: علي بن محمد السمري ٤٤
موقع حصين غير قابل للاختراق ٤٧
سيرة أدعياء النيابة تفضحهم ولا تزيدهم إلا ضلالًا! ٤٧
تصيُّد في الماء العكر! ٤٨
مهام النواب الأربعة (السفراء) في عصر الغَيْبة الصُّغرى ٥٠
المهمة الأولى: إنجاز مشروع الغَيبة ٥٠

المهمة الثَّانية: تسلُّم التَّوقيعات ٥٠
المهمة الثَّالثة: المهمَّة الماليَّة ٥١
المهمة الرَّابعة: تنظيم شؤون الوكلاء ٥١
المهمة الخامسة: الإشراف على الواقع الشِّيعي ٥٢
× نتائج البحث في الغَيْبة الصُّغرى ٥٢
المرحلة الثَّانية: مرحلة الغَيْبَة الكبرى ٥٦
ما هي وظائف القيادة الفقهائية؟ ٥٧
المرحلة الثالثة: مرحلة الظهور وقيام الدولة الإسلامية الكبرى ٥٨

الفصل الثَّالث

عصر الانتظار

المنتظرون ٦٣
مسؤوليَّات الغَيْبَة ٧٢
مدة هذه المرحلة ٧٢
مسؤوليات المرحلة ٧٣
معنى الانتظار، وشروطه ٧٧
شروط الانتظار الحقيقي ٧٨
الانتظار المشلول! ٨١
كيف يمكن أنْ نمارس الانتظار؟ ٨٣

التطبيق الأوَّل: الانتظار تمنيات وأشوق! ٨٣
المسؤوليات على ثلاثة مستويات ٨٤
التطبيق الثاني: الانتظار هو دعاء وأوراد! ٨٤
التطبيق الثَّالث: الانتظار هو الجمود والاعتزال! ٨٦

الفصل الرَّابع

السَّفارة والنِّيابة الخاصَّة

الباب الأوَّل: التَّوقيع الأخير ٩١
نص التَّوقيع ٩١
وقفة تأمُّل ٩٢
مراحل العلاقة بين الأئمَّة والشيعة ٩٤
المرحلة الأولى: الحضور ٩٤
المرحلة الثانية: الغياب الجزئي ٩٦
الباب الثَّاني: دعاوى السَّفارة ٩٨
معنى الغَيْبَة الكبرى ٩٨
ادِّعاء السَّفارة ١٠١
أدعياء السَّفارة ليسوا شيئًا في الطائفة ١٠٣
الخطوات التي يعتمدها هؤلاء الأدعياء ١٠٤
المشاهدة ستكون بعد خروج السفياني والصيحة ١٠٦

الفصل الخامس

عـصـر الظُّهور

ملامح عصر الظُّهور ١١١

معنى الفتنة ١١٣

مسيرة الثورة العالمية ١١٤

كيف يلتحق أنصار الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف به؟ ١١٧

هكذا هم الأنصار ١١٨

حركة السّفياني ١١٩

انطلاق السُّفياني ١١٩

حركة السُّفياني ومصيرها! ١٢٠

الخط البياني لحركة الإمام المهدي عليه السلام ١٢١

الانطلاق من مكة ١٢٢

إلى المدينة المنورة ١٢٣

كم يبقى في المدينة المنورة؟ ١٢٣

ما هي المهمّات التي يمارسها في هذه المدّة؟ ١٢٤

إلى (الكوفة) في العراق ١٢٤

ميزان القوى في العراق ١٢٥

ماذا بعد أن يستقرّ الوضع في العراق للإمام المهدي؟ ١٢٦

معركة الإمام المهدي مع السفياني ١٢٧

الإمام في مواجهة السفيانيّ ١٢٨
تحرير القدس ١٢٩
المعارك مع اليهود والكفر ١٣١
مواقف الرَّافضين لروايات صلاة النَّبيِّ عيسى خلف الإمام ١٣٥
قيام الدولة الإسلاميَّة الكبرى ١٣٦
حصار قضيَّة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ١٣٩
أوَّلًا: الحصار السِّياسي ١٣٩
ثانيًا: الحصار الفكري والثقافي ١٣٩

الفصل السَّادس

مسائل وردود

المسألة الأولى: عقيدة المهدي المنتظر هل هي بدعة شيعيَّة؟ ١٤٥
المسألة الثَّانية: إنَّ قَتَلَة الإمام الحسين، قد انتهوا في التاريخ، فهل يقتل الإمام المهدي الأبناء بجرم الأجداد؟ ١٥٠
المسألة الثالثة: ما الحكمة من نزول عيسى في عصر الإمام المهدي؟ ١٥١
المسألة الرابعة: ما هو سر الغَيبوبة السياسية للواقع الشيعي في مرحلة غياب الامام عجل الله تعالى فرجه الشريف؟ ١٥٣
المسألة الخامسة: لماذا يتصدى الإمام المهدي لهذه الأنظمة، ما دامت أنظمة تنتمي إلى الإسلام، وتحمل اسم الإسلام؟ ١٦٢

المسألــة السادسة: كيف سينتصــر الإمام المهدي في مواجهــة الأنظمة التي تملك أحدث وأخطر الأسلحة المتطورة وهو لا يملك إلا السيف؟ ١٦٧

المسألــة السَّابعة: هــل تبقى القدس في قبضــة اليهود حتى ظهــور الإمام المهدي، فتُحرَّر على يديه؟ ١٧١

المسألة الثَّامنة: إشكالية العمر الطَّويل ١٧٢

خاتمة: مشروع دراسة ١٧٤

الاتِّجاه الأوَّل: الاتِّجاه النَّافي لوجود الإمام المهدي ١٧٤

إشكالية إعراض الشيخين ١٧٧

الاتِّجــاه الثَّاني: هذا الاتجاه لا ينحى المنحى الأول الرافض للفكرة تمامًا، حيث إنَّ الحشد الكبير من النصوص الإسلامية الصحيحة لا يسمح بهذا الرفض ١٧٨

الاتِّجــاه الثَّالث: ويتشكل هذا الاتجاه - كمــا ألمحنا من خلال الحديث عن الاتجاه الثَّاني - من فكرتين: الولادة، والغَيْبة ١٧٩

الشَّكل الأوَّل: التعاطي الاسترخائي ١٨٠

الشَّكل الثَّاني: التعاطي التعطيلي ١٨١

الشَّكل الثَّالث: التَّعاطي الانحرافي ١٨١

الشَّكل الرَّابع: التَّعاطي الواعي الأصيل ١٨١

المراجع والمصادر ١٨٤

المقدمة

كلُّ الأدلَّـة والبراهـين التـي أثبتها علمـاء المسلمين على وجـوب إرسال الرُّسـل، وبعثة الأنبياء عليهم السلام هي تجري في زماننا، وفي كل زمان بلا استثناء، وإلا فما معنى أنْ نستدلَّ ببرهان اللُّطف - مثلًا - على زمان دون زمان؟!

هـل كان الله لطيفًـا بعباده السَّابقـين، فبعث لهم الأنبيـاء والأوصياء والمرسلين عليهم السلام مبشِّريـن ومنذرين، ولـم يكن لطيفًا بـأمَّة سيِّد الخَلق أجمعـين، فـتركها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله تتخبَّط ذات الشِّمال، وذات اليمين؟!

وهـل من العـدل والحكمة أنْ يُرسل اللهُ تبارك وتعـالى إلى كلِّ الأمم السَّابقة مَن يأخذ بيدهـا إلى طريق كمالهـا وسعادتها، ويدلَّها عند مفترق الطُّـرق إلى سبيل نجاتها، ثم لا يكـون لهـذه الأمَّة المرحومة مثل ذلـك الرَّجل المعصوم المسدَّد مـن قبل الله - تبارك وتعالى -؟!

وهل يتركها الله عزَّ وجلَّ لأكثر من ألف وأربعمائة سنة بلا نبيٍّ، أو وصيِّ نبيٍّ؟؟!!

اطرحوا هذه الأسئلة على كلِّ مَن يؤمن بالأنبياء والرُّسل عليهم السلام، ولن تجدوا جوابًا مقنعًا إلَّا عنـد سادة الخلـق بعد خاتم النَّبيِّـين محمَّد صلى الله عليه وآله وهم عترتـه وأهل بيته عليهم السلام، وأهـل البيـت أدرى بالـذي فيه، وكما ورد عـن الإمام الباقـر عليه السلام - في إجابته لاثنين مـن السَّائلين وهما اللَّـذان دعيا إلى ولاية عليٍّ عليه السلام في بادئ الأمر، ثم خلطاها بولاية غيره -: «شرِّقا وغرِّبا، لن تجدا علمًا صحيحًا إلَّا شيئًا يخرج من عندنا أهل البيت».[1]

نعـم، فإنه ومنذ خلـق اللهُ سبحانه البشرَ، وإلى أنْ يرث الله الأرض ومَن عليها، لم ولن تخلـو الأرض مـن حُجَّة، ورجل معصـوم، يكون نبيًّا، أو رسـولًا، أو وصيًّـا، أو دليلًا، أو سراجًـا منـيرًا، أو عَلَمًا هاديًا، أو إمامًا يهدي بأمـر الله سبحانه، أو ما شئت فعبِّر فلا مُشاحَّة في الألفاظ، والمهم هو أنْ يكون ثمَّة رجل معصوم قد اصطفاه الله تعالى لهداية النَّاس.

---

١. بحار الأنوار٢/٩٢.

فصحيح أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «لا نبي بعدي»[٢]، وهذا بإجماع المسلمين، كما هو صريح القرآن الكريم، إلَّا أنَّه لم يقلْ: لا وصيَّ بعده، ولا إمام يخلفه؛ بل قال عكس ذلك، فابحث عمَّا قال، وستجده مُثبتًا في كتب الصِّحاح، ومصادر المسلمين أجمعين.

معرفة إمام الزَّمان ليست أمرًا ثانويًّا يمكن التَّهاون في تحصيلها، بل هو المُنجي من الزَّيغ والضَّلالة، والهادي إلى الصِّراط المستقيم، وهو الشَّمس المستترة خلف السَّحاب، يضيئ اللهُ بنورها قلوبَ عباده المؤمنين، ويبعث بدفئها وخيرها إلى أمَّة خاتم النَّبيِّين.

والمجلس الإسلاميُّ العلمائيُّ يرى لزامًا أنْ يولي عناية خاصَّة بالتَّعريف بإمام الزَّمان - حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي ختم اللهُ تعالى به الإمامة بعد خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله، فكان آخر وصيٍّ، وآخر حجَّة، وآخر إمام في خطِّ الرِّسالات الإلهيَّة -، ولذلك فقد خصَّصَ في كلِّ عام موسمًا بعنوان: (موسم الإمام المهدي المنتظر)، ويأتي هذا الكتيِّب في هذا السِّياق، وقد جمعناه وأعددناه من عدَّة محاضرات لسماحة العلَّامة السَّيِّد عبد الله الغريفي.

نسأل الله تعالى أنْ يوفِّقنا جميعًا؛ لمعرفة إمام زماننا، وطاعته، وولايته.

اللَّهمَّ، عجِّل فَرَجَه الشَّريف، واجعلنا من أنصاره وأعوانه، ومن المستشهدِين بين يديه.

دائرة الكتابة والتَّأليف
بالمجلس الإسلاميِّ العلمائيِّ

٢. قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: «أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي». المحاسن١/١٥٩.

توطئة

اثنا عشر إمامًا

قالها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كلمة صريحة واضحة وضوح النهار: «الأئمة من بعدي اثنا عشر».[٣]

ولم تكن هذه الحكمةُ الصريحةُ الواضحةُ مقولةً دونتها مصادر الشِّيعة فقط؛ ليكون الشيعة متهمين وإنمّا دوّنتها أهم مصادر الحديث عند المسلمين جميعًا، دوّنتها كتب الصِّحاح والسُّنن والمسانيد: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن ابن داود، سنن الترمذي، سنن ابن ماجه، مسند أحمد، وغيرها.

ربمّا تعددت الألفاظ والصياغات، إلَّا أنَّها جميعًا تؤكد ضرورة وجود نخبةٍ متميِّزةٍ بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وأهم ما يميِّز هذه النُّخبة:

أ. محدودة بالعدد (١٢).

ب. منظومة منفردة في خصائصها ومؤهلاتها على كل المستويات الإيمانية والرُّوحيَّة والنَّفسيَّة والفكريَّة والعلميَّة والقياديَّة.

ج. هذه النُّخبة تمثِّل الضمانة؛ لبقاء الدِّين وديمومته واستمراره، والسِّياج لحماية الشريعة وقِيمها.

فمن تكون هذه النُّخبة؟

أترون أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تحدث عن نخبة متميِّزة تأتي بعده، ومنحها مجموعة خصائص ومؤهلات وصلاحيات، ثمَّ لا يكون قد حدّدها للأمَّة؟

---

٣. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٨ ص ٣٦٦.

مـن المؤسف جدًّا أن يكون هنـاك جدل بين المسلمين في تحديد هذه النُّخبة المتميِّزة رغـم الوضوح، وأعتقد أنَّ أهدافًا سياسيَّة ومذهبيَّة خلقت هذا الجدل؛ من أجل إرباك الحقيقة.

لا أريـد هنـا - ونحـن في احتفـال[٤] لا يسمح لنـا بالمعالجـة العلميَّـة - أنْ أتناول التفسـيرات والتأويـلات التي احتشدت في كتـب الحديث؛ من أجـل الوصول إلى معنى مقبول لهـذه النصوص الثابتة التي تحدثت عن هذه (المنظومة المتميزة) والمتشكلة من العدد (١٢).

قمت بعمليَّة بحث دؤوب في الكثير من مصادر الحديث السُّنِّيَّة بكل شروحاتها لعلي أجـد تفسيرًا مقنعًا مقبولًا، فلم أتوفَّق إلى ذلك، وما عثرت عليه هو مجموعة محاولات مرتبكة ومشوَّشة وواضحة التَّكلُّف، فعلى مَن يرغب أن يطلع على هذه المحاولات، فليقرأ كتابنا (التَّشيع: نشؤوه مراحله، مقوماته).

وكمثال لهذه التفسيرات المرتبكة أضع بين أيديكم هذين النموذجين:

النموذج الأوَّل: محاولة ابن العربي

قال ابـن العربي في شرح سنن الترمذي: «فعددنا بعد رسول الله ﷺ اثني عشر أمـيرًا، فوجدنا أبا بكـر، وعمر، وعثمان، وعليّ، والحسن، ومعاويـة، يزيد، ومعاوية بن يزيـد، مـروان، وعبد الملك بن مروان، والوليد، وسليمـان، وعمر بن عبدالعزيز، ويزيد بـن عبد الملك، ومروان بن محمد بن مروان، والسَّفَّاح ...، ثمّ عدَّ سبعًا وعشرين خليفة من العبَّاسيين إلى عصره، ثم قال: (وإذا عددنا منهم اثني عشر انتهى العدد بالصورة إلى سليمـان، وإذا عددناهم بالمعنـى كان معنا منهم خمسة: الخلفاء الأربعة، وعمر بن

٤. الكلمة ألقيت في احتفال تنصيب الإمام المهدي عجل الله فرجه للخلافة.

عبد العزيز، ولم أعلم للحديث معنى».[٥]

النموذج الثَّاني: محاولة جلال الدِّين السيوطي

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: «وقد وجد من الاثني عشر: الخلفاء الأربعة، والحسن، ومعاوية، وابن الزبير، وعمر بن عبد العزيز هؤلاء ثمانية، ويحتمل أنْ يضم إليهم المهتدي من العبَّاسيين، لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية، وكذلك الطاهر لما أوتيه من العدل، وبقي الاثنان المنتظران أحدهما المهدي، لأنه من آل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم)».[٦]

التَّفسير واضح!

لا أدري لماذا هذا الإصرار على هذه المتاهات، والتفسير واضح لا يحتاج إلى هذه الالتواءات والارتباكات، فإذا أردنا أن نكون منصفين، فلن نجد تفسيرًا مقبولًا لهذا العدد إلَّا في (الأئمة الاثني عشر) من أهل البيت عليهم السلام، وقد صرَّح رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك روى الحموينى الشافعي في فرائد السمطين أنَّه صلى الله عليه وآله قال: «إنَّ خلفائي وأوصيائي، وحجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر أولهم أخي، وأخرهم ولدي ...

قيل يا رسول الله: ومَن أخوك؟

قال: «علي بن أبي طالب».

قيل: فمَن ولدك.

---

٥. قال ابن العربي في شرح سنن الترمذي: «فعددنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اثني عشر أميرًا، فوجدنا: أبا بكر، عمر، عثمان، علي، الحسن، معاوية، يزيد، معاوية بن يزيد، مروان، عبد الملك بن مروان، الوليد، سليمان، عمر بن بعد العزيز، يزيد بن عبد الملك، مروان بن محمد بن مروان، السفاح ...»، ثم عد بعده سبعًا وعشرين خليفة من العباسين إلى عصره، ثم قال: «وإذا عددنا منهم اثني عشر انتهى العدد بالصورة إلى سليمان، وإذا عددناهم بالمعني كان معنا منهم خمسة، الخلفاء الأربعة، وعمر بن عبد العزيز، ولم أعلم للحديث معنى». معالم المدرستين - السيد مرتضى العسكري - ج ١ ص ٣٣٧.

٦. «وقد وجد من الاثني عشر: الخلفاء الأربعة والحسن، ومعاوية، وابن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضم إليهم المهدى العباسي، لأنه في العباسيين كعمر بن عبد العزيز في الأمويين، والطاهر العباسي - أيضًا - لما أوتيه من العدل.

ويبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهدي، لأنه من أهل البيت». معالم المدرستين - السيد مرتضى العسكري - ج ١ ص ٣٣٧.

قال: «المهدي الذي يملأها قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، والذي بعثني بالحقِّ نبيًّا لو لم يبقَ من الدنيا إلَّا يوم واحد لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه وَلَدِي المهدي، فينـزل روح الله عيسى بن مريم، فيصلِّي خلفه، وتشرق الأرض بنوره، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب».[٧]

فآخر القائمة في هذه السلسلة المباركة الطاهرة هو «الإمام المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله».

متى بدأت إمامته عليه السلام؟

بدأت إمامته بعد وفاة أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام في الثامن من شهر ربيع الأول سنة مائتين وستين للهجرة ...، ومن الضَّروري أن نعطي لهذا اليوم اهتمامًا يتناسب مع قيمته الكبيرة جدًّا، وإنيّ أثمِّن لكم هذه البادرة الواعية والصادقة في الاحتفال بهذا اليوم ... .

في حياة الإمام المهدي عليه السلام ثلاثة أيَّام مهمَّة جدًّا:

- ❖ يوم ولادته عليه السلام.
- ❖ يوم إمامته عليه السلام.
- ❖ يوم ظهوره وقيامه عليه السلام.

وقد اعتدنا أنْ نحتفل بيوم الولادة، كما هي عادتنا في الاحتفال بولادة النَّبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله، وولادات الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، كما نحتفل بذكريات الوفاة.

---

٧. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٨٠.

إنَّ يوم ولادته (أرواحنا فداه) يحمل قيمة كبيرةً جدًّا، فهو يوم جدير أن نحتفل به، إلَّا أنَّ يوم إمامته عليه السلام يحمل من القِيمة ما هو أكبر، فلماذا لا نحتفل بيوم إمامته؟

إذا كان يوم الغدير هو يوم التَّأسيس لخطِّ الإمامة، فإنَّ يوم الإمامة في حياة الإمام المنتظر عليه السلام هو (يوم الإمامة الخاتمة).

فيجب أنْ يكون لهذا اليوم خصوصيته في حياتنا، ويجب أن يكون لهذا اليوم أهميته في توجهاتنا.

إنَّنا في حاجة أن نعطي للإمام المنتظر حضوره في كل واقعنا، خاصة والعالم يشهد إرهاصات ربما تشكل إرهاصات الظهور، وأن يكون الأمر في ذلك متروك لعلم الله تعالى، فلا يعلم بوقت الظهور إلَّا الله تعالى، والإمام (أرواحنا فداه) ينتظر أمر الله، فإذا شاءت إرادة الله، وحان الوقت المعلوم، جاء الأمر إليه عجل الله تعالى فرجه الشريف أنْ يخرج؛ ليملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، وقد جاء في الروايات النَّهي عن التوقيت.

نعم للظهور علامات عامَّة، وهي لا تعبر عن قرب الظهور، وعلامات خاصَّة إذا حدثت فقد قرب الظهور.

المهم في هذه الظروف المشحونة بالمتغيرات والمفاجآت، يجب أن نعيش الاستنفار في علاقتنا بالإمام المنتظر.

أيُّها الأحبَّة، إنَّنا نعيش في ظل هذه (الإمامة الخاتمة)، وفي المرحلة الثَّانية من مراحلها - الغَيْبة الكبرى-.[٨]

---

٨. التاريخ: ٢١ يونيو ٢٠٠٢م، الموافق: ٩ ربيع الأول ١٤٢٤هـ، المناسبة: تنصيب الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف للخلافة، المكان: أبو صيبع - الساحة قرب المأتم الوسطي.

من الأدلة على وجود الإمام المنتظر: حديث الأئمَّة الاثني عشر

مسألــة الإمــام المهــدي المنتظَر - وهــي لا تحمل صبغــة مذهبيَّة رغــم أنَّ العوامل التاريخيــة والسياسيَّــة والمذهبيَّــة قد عملت علــى مَذْهَبَــة عقيدة (المهــدي المنتظَر)، فبعــد أن كان من المسلَّمات الإسلامية - حوصــرت وحوصرت حتى أصبحت وكأنها من مخلَّفات الشِّيعة!

إنَّ هــذه الفكــرة ليست من مخلَّفاتنا، بل هي من تصميــم الإسلام نفسه، وحسبما أكَّدته النصوص الثابتة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وكما هو مدوَّن في أمّهات المصادر الحديثية السُّنِّيَّة والشِّيعيَّة.

مــن المزاعم التي تثار حول قضية (الإمام المهــدي المنتظر) عدم توفُّر أدلة شرعية وتاريخية على وجود الإمام الغائب محمَّد بن الحسن العسكري عليه السلام، وهذا زعم باطل، فالأدلــة قائمة على ذلك، وقد صنّف علماؤنا الأجــلَّاء الكثير من الكتب، وهي مشحونة بالكثــير من الأدلة والبراهين علــى وجود (الإمام المهدي المنتظــر)، وأنه الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

مــن أدلتنــا على وجود (الإمــام المهدي المنتظــر): الأحاديث الصريحــة التي تؤكِّد أنَّ «الأئمــة اثنا عشــر»، وأنَّ المهدي المنتظــر هو خاتمة هؤلاء الأئمَّــة عليهم السلام، فإذا ثبت صحــة هذه الأحاديث التي تحدِّد عدد الأئمَّة عليهم السلام بـ «اثني عشر»، وإذا ثبت أنَّ المهدي المنتظر هو خاتمة هذا العدد المُبارك، فالنتيجة واضحة بكون (المهدي المنتظر) قد وُجد بالفعل، فدليلنا يعتمد على مقدمتين:

المقدمة الأولى: صحة صدور الأحاديث التي يؤكد أنَّ عدد «الأئمة» عليهم السلام اثنا عشر.

المقدمة الثانية: كون الإمام المهدي المنتظر عليه السلام هو خاتمة هذا العدد.

نبدأ بالمقدمة الأولى:

هل نملك أحاديث تحدّد عدد الأئمة بـ «اثني عشر»؟

وما قيمة هذه الأحاديث من الناحية السَّنَدِيَّة؟

ومَن هم المصاديق لهذا العدد؟

ومِن خلال الرجوع إلى مصادر الحديث نخلص إلى النتائج التالية:

النتيجة الأولى: وجود عدد كبير من الروايات الصادرة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، والتي تؤكِّد هذا العدد «الاثني عشر».

النتيجة الثانية: إنّ هذه الروايات مدونة في المصادر المعتمدة عند السُّنَّة والشِّيعة.

النتيجة الثالثة: إنَّ أسناد هذه الروايات أسناد صحيحة ومعتبرة وفق المعايير المعتمدة لدى رجال الحديث.[٩]

اتِّجاهان خاطئان

هناك اتِّجاهان خاطئان تعاملا مع قضية (الإمام المهدي المنتظر):

الاتِّجاه الأوَّل: إنكار فكرة المهدي المنتظر

هذا الاتِّجاه أنكر الفكرة أساسًا، فلا يوجد ضمن التصورات الإسلامية، والمفاهيم الدينية فكرة اسمها (المهدي)، وإذا وُجد لها ذِكر في التراث الإسلامي والفكر الديني هي دخيلة على هذا التراث وهذا الفكر، وكل الروايات التي تتحدث عن (المهدي) هي روايات ضعيفة، وموضوعة، ومكذوبة.

أوَّل مَن تبنى هذا الاتجاه ابن خلدون، ثم تبعه كتاب ومفكرون آخرون.[١٠]

---

٩. التاريخ: ٩ يونيو ٢٠٠٦ م، الموافق ١٢ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ، المناسبة: حديث الجمعة رقم: ١٢٠، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

١٠. مقدمة ابن خلدون - عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون - ف ٥٢ - ص ٢١١.

نلاحظ على هذا الاتجاه:

أولًا: هـذا الاتجاه يتنافى مع ما تتبنـاه الغالبية العظمى من علماء المسلمين (السنة والشيعـة) كما برهنت على مصنفاتهم ومؤلفاتهم، وقـد اعترف ابن خلدون نفسه بأن الاعتقاد بـ «المهدي» مما اشتهر بين كافة المسلمين في كافة الأعصار.

إذًا هذا الاتجاه الذي ينكر قضية المهدي هو اتجاه شاذ، ولا يمثله إلا قلة لا يعتد بهم في مقابل إجماع المسلمين على أصل الفكرة وإنْ اختلفوا في التفاصيل.

ثانيًـا: لقـد تصدى عدد كبـير من علماء المسلمـين (السنة والشيعـة) لمناقشة ابن خلدون ومناقشة المنكرين لأحاديث المهدي.

وممَّن تصدى لذلك من علماء السُّنة:

أبـو الفيض الغماري (الحافظ المجتهد أحمد بن محمد بن الصديق) ألَّف كتابًا في الرد على ابن خلدون اسماه: (إبراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون)، وللكتاب اسم آخر هو (المرشد المبدي لفساد طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي).[١١]

وممَّـن تصـدى كذلك الأستاذ عبد المحسن بن حمد العبـاد - عضو هيئة التدريس في الجامعـة الإسلاميـة بالمدينة المنورة -، فله محاضرة بعنـوان: (الرد على من كذَّب بالأحاديـث الصحيحة الواردة في المهدي)[١٢]، وهي رد على الرسالة ألَّفها عبد الله بن زيد المحمود - رئيس المحاكم الشرعية في قطر - أنكر فيها أحاديث المهدي.

---

١١. إبـراز الوهـم المكنـون من كلام ابـن خلدون - أبو الفيض الغِمـاري - راجع كتاب الإمام المنتظر قـراءة في الإشكاليات للسيد عبد الله الغريفي ج١ ص ٤٧.

١٢. محاضرة بعنوان: (الرد على مَن كذَّب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي) - عبد المحسن العبَّاد - راجع كتاب (الإمام المنتظر قراءة في الإشكاليات)، للسيد عبد الله الغريفي ج١ ص ٤٦.

ثالثًـا: هذا الاتجاه يتعارض بكل وضوح مع الحشـد الكبير من الأحاديث والروايات الصحيحـة والمدونة في أهم المصادر المعتمـدة عند المسلمين، كما أثبتنا ذلك في حديث سابق.

خلاصة القول: إنَّ الاتِّجاه الأول الرافض لقضية (الإمام المهدي) اتجاه باطل فاسد لا يملك مستندًا علميًّا، ولا مبررًا تاريخيًّا.

الاتِّجاه الثاني: تحريف فكرة الإمام المهدي

هـذا الاتجاه يؤمن بفكـرة (الإمام المهـدي)، ويسلم بصحَّـة أحاديثها، فلا مجال للرفضـ والإنـكار، إلا أن هـذا الاتجاه حاول أن يعطـي الفكرة مسارًا آخـر غير المسار الحقيقي لها.

هـذه بعض أمثلـة سريعة لمحـاولات هذا الاتجـاه في تغيير مسار فكـرة (المهدي)، والتصرف في مضمونها، ومكوِّناتها:

١. المثـال الأوَّل: لقـد تواتـر عـن النبـي ﷺ قولـه: «المهـدي اسمه اسمـي، وكنيته كنيتـي»[١٣]، وهذا واضح لمَن راجع مصادر الحديث المعتمدة، إلا أن محاولات التحريف تدخلت، فأضافت قيدًا جديدًا على هذا الحديث المتواتر، فأصبح الحديث وفق الصيغة الجديدة – الصيغة التحريفية –، فعن الفضل بن دكين قال حدثنا فطر عن زر عن عبد الله قـال: قـال رسول الله ﷺ: طلا تذهب الدنيا حتى يبعث الله رجلًا من أهل بيتي يواطـئ اسمه اسمـي، واسم أبيه اسم أبي)[١٤]، هذا القيـد الجديد لم يرد في الصيغة الصحيحـة، ومـن الواضح أنه قيد موضوع بغرض إبعـاد الفكرة عن تطبيقها الحقيقي وهو (محمد بن الحسن العسكري).

---

١٣. عـن جابـر بـن عبـد الله رفعه: «المهـدي من ولدي اسمه اسمـي، وكنيته كنيتي، أشبـه الناس بي خلقًا وخُلقًـا، يكون له غَيبة وحـيرة يضـل فيهـا الأمم، يقبل كالشهـاب الثاقب، يملأها عـدلًا وقسطًا كما ملئت جـورًا وظلمًا». ينابيع المودَّة لذوي القربى ٣٨٦/٣، القندوزي.

١٤. المصنف – ابن ابي شيبة – ج٨ – ص ٦٧٨ – ح .

المثال الثاني: الادعاء بأنَّ الإمام المهدي من ذرية الإمام الحسن بن علي أبي طالب، وليس من ذرية الإمام الحسين بن علي، وهذا محاولة أخرى؛ لإقصاء الفكرة وإبعادها عن مصداقها الحقيقي، ومن التعليلات الظريفة التي يعتمدها بعضهم في هذا السياق، أنَّ الإمام الحسن المجتبى تنازل عن الخلافة، فعوَّضه الله تعالى بأن جعل (المهدي) من ذريته، أما الإمام الحسين فقد طالب بالخلافة، فحرم من هذا العطاء!

تعليل مبتكر!، وهو لا يحتاج إلى تعليق.

فالنصوص صريحة وواضحة في كون الإمام المهدي المنتظر من ذرية الإمام الحسين، وإذا ضممنا المحاولة الثانية إلى سابقتها نتج لدينا أن المهدي اسمه (محمد بن عبد الله الحسيني)، وليس (محمد بن الحسن العسكري)!

وقد تصدى الكثير من العلماء؛ لإبطال هذا الادِّعاء الموهوم.[١٥]

١٥. التاريخ: ١٨ مايو ٢٠٠٦م، الموافق: ٢٠ ربيع الآخر١٤٢٧هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ١١٧، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

الفصل الأوَّل

ما قبل الغَيْبَة

من ملامح عصر الإمام العسكري

أ- اشتداد الضغط السّياسي والأمني

مارست السُّلطة الحاكمة دورًا تعسفيًّا قاسيًا ضدَّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وضدّ أتباعه وشيعته.

ولعلَّ من أسباب اشتداد الضغط السّياسي والأمني في تلك المرحلة، والتي بدأت بعصر الإمام الهادي عليه السلام، واستمرَّت في التصاعد والاشتداد هو ظهور المؤشرات على اقتراب ولادة الإمام المهدي، الذي بشرَّت به الأخبار، وأنّه الثاني عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وهو الذي يزيل أنظمة الجور والاستبداد، وعلى يديه ينتهي حكم المتسلِّطين الظالمين.

ولذلك ضاعف حكَّام تلك المرحلة ممارساتهم الاستبداديّة التعسفيَّة الضاغطة.

ومن تلك الممارسات التي قامت بها ضدّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

١- تشديد الرقابة الأمنيّة على حركة الإمام، وعلى كلّ اتصالاته، وعلاقاته.

٢- أمر المعتز العباسي بتسفير الإمام العسكري إلى الكوفة خوفًا من اتساع دائرة تأثيره.

وقد انتقم الله من المعتز، فهلك على يد الأتراك حيث قتلوه شرّ قتلة، يقول ابن الأثير: «فدخل إليه جماعة منهم فجروه برجله إلى باب الحجرة، وضربوه بالدبابيس، وخرقوا قميصه، وأقاموه في الشمس ...».[١]

واستمروا في تعذيبه، ومنعوه من الطعام والشراب ثلاثة أيام، ثم ادخلوه سردابًا، وسدُّوا بابه إلى أن مات... .

١. الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ج ٧ ص ١٩٥.

٣- وجاء المهتدي العباسي، وكانت سياسته ضدَّ الإمام وشيعته استمرارًا لمَن سبقه، فتصدَّى للإمام وشيعته، ولاحقهم وتجسَّس عليهم، وصادر أموالهم، وطاردهم، ونكَّل بهم، ومارس معهم كلّ أساليب الإرهاب.

٤- اعتقال الإمام، والتضييق عليه في السجن.

لما رأى المهتدي أنَّ كلّ الوسائل التي اعتمدها ضدّ الإمام لم تحدّ من نشاط الإمام واتساع شعبيته أمر بسجنه والتشديد عليه في السجن.

٥- وجاء دور المعتمد العباسي، وتابع مع الإمام وشيعته سياسة القمع والإرهاب والملاحقة والمصادرة، وقد بدا للمعتمد أن يغيّر سياسته مع الإمام وشيعته، فاعتذر للإمام عمَّا صدر ضدَّه وضدَّ أتباعه من ممارسات قاسية وجائرة وظالمة، إلَّا أنّه سرعان ما عاد إلى سياسة العنف والإرهاب، واستمرّ في التضييق على الإمام، وأصدر أمرًا باعتقاله، ووضعه في أحد السجون.

وهكذا استمرت الأساليب القمعيَّة ضد شيعة الإمام، وأتباعه:

- المراقبة الأمنيّة الشديدة.

- الاعتقالات، والسجون.

- الاغتيالات، والإعدامات.

٦- وأخيرًا ضاق المعتمد ذرعًا بالإمام عليه السلام، فأقدم على اغتياله، إذ دسَّ له السّم - كما تقول بعد الروايات -، واستشهد (سلام الله عليه) وعمره لم يتعدَّ الثامنة والعشرين.

ب- التَّهيئة لمرحلة الإمام المهدي

ومن ملامح تلك المرحلة التي عاصرها الأئمَّة المتأخرون (الجواد، والهادي،

والعسكري) عليهم السلام أنّها المرحلة الممهِّدة لغَيْبة الإمام المهدي، ولذلك مارس هؤلاء الأئمَّة، وبالأخص الإمام العسكري إعدادًا مكثَّفًا للمرحلة الجديدة والغريبة على الذهنية الشعبية المنتمية إلى مدرسة الأئمّة عليهم السلام، فلم يحدث لأحدٍ من أئمّة أهل البيت السَّابقين أن غاب واختفى، إلَّا التَّغيُّب الذي مارسته أنظمة الحكم في زجّ بعض الأئمَّة في أقبية السجون.

ما هي الأساليب المعتمدة للتَّهيئة لمرحلة الغَيْبَة؟

مارس الأئمّة المتأخرون، وبالأخصّ الإمام العسكري مجموعة من الأساليب؛ من أجل التهيئة للمرحلة الجديدة غير المألوفة.

من هذه الأساليب:

أوَّلًا: فرض حالة من التَّكتُّم الشديد على ولادة الإمام المهدي عليه السلام

وطبيعة المرحلة تفرض هذه الإجراءات، حيث إنَّ السلطة الحاكمة ونظرًا لوجود المؤشرات على قرب ولادة الإمام الثاني عشر من أئمّة أهل البيت، وهو الموعود حسب الأخبار بإنهاء حكم الظلمة في الأرض، استنفرت - أي السُّلْطة الحاكمة - أجهزتها؛ لمراقبة هذا الحدث الجديد، وشدَّدت الرقابة على بيت الإمام العسكري عليه السلام، إلَّا أنّها لم تفلح في اكتشاف الأمر، فقد كانت الإجراءات المحكمة والدقيقة التي اعتمدها الإمام العسكري؛ لإحاطة ولادة الإمام المهدي بالكتمان الشديد، استطاعت أن تسقط كلّ محاولات السُّلْطة.

ورغم كلّ الإجراءات التكتميّة؛ لإخفاء ولادة الإمام المهدي إلَّا أنَّ الإمام العسكري، أطلع الصفوة من خوَّاصّه، وأصحابه بهذا الخبر الكبير.

ثانيا: صدرت رواياتٌ مكثفة تتحدّث عن ظاهرة (الغَيْبَة واختفاء الإمام)

حتى لا تشكّل الغَيْبَة صدمة في الذهنيَّة الشيعيَّة، وقد دوَّنت هذه الروايات في

مجموعة من المصنَّفات لعلماء كبار من أتباع مدرسة أهل البيت، وبعض هؤلاء العلماء تُوُفِّي قبل حدوث الغَيْبَة ممَّا يؤكّد صحة هذه الروايات.

فالفضل بن شاذان المتوفى سنة (٢٥٧هـ)، أو سنة (٢٦٠هـ) وهو من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام كما له روايات عن الإمام الرضا عليه السلام، قد ألَّف كتابه المعروف (الغَيْبَة) دوَّن فيه الكثير من أحاديث الغَيْبَة، وجاء بعده علماء أجلَّاء ثقات معتمدون، ودوَّنوا تلك الأخبار في مصنفاتهم المعروفة من هؤلاء:

١- ثقة الإسلام الكليني، في كتابه الكافي.

٢- الشيخ الصدوق، في الكثير من مصنفاته.

٣- الشيخ الطوسي المعروف بشيخ الطائفة في كتابه (الغَيْبَة).

٤- الشيخ المفيد المشهور في عدة من كتبه.

٥- وآخرون كثيرون.[٢]

ثالثًا: تكثيف ظاهرة (الوكلاء) للأئمَّة

أخذ الأئمَّة من المرحلة المتأخرة يكثّفون من ظاهرة (الوكلاء)، والذين انتشروا في كلّ المناطق والبلدان التي يتواجد فيها الشيعة المنتمون إلى مدرسة الأئمّة من أهل البيت، وهذا التكثيف لظاهرة الوكلاء يرجع إلى سببين:

السبب الأول: الاتساع الكبير للقاعدة الشيعيّة (أتباع الأئمّة)، فرغم الحصار السّياسيّ والمذهبيّ الذي كانت تمارسه أنظمة الحكم في العهدين الأمويّ والعباسيّ ضدّ الأئمَّة، وضدَّ أتباعهم وشيعتهم، فقد ازداد أتباع أهل البيت، ولذلك يؤكّد الدارسون لتاريخ الأئمّة أنّ عهد الأئمّة من أبناء الإمام الرّضا عليه السلام الإمام الجواد والإمام

٢. التاريخ: ٢٠ مارس ٢٠٠٩ م، الموافق: ٢١ ربيع الأول ١٤٣٠هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ١٩٢، المكان: مسجد الإمام الصَّادق (عليه السلام) بالقفول.

الهـادي والإمام العسكري عليهما السلام قد اتّسـم باتساع رقعة انتشار التشيّع، وهذا فرض أن يكـون للأئمّة وكلاء في كلّ البلدان التي تواجد فيها أتباعهم وشيعتهم، لأنّ التواصل مع الإمام مباشرة أصبح صعبًا وعسيرًا.

السبـب الثاني: التهيئة لنظام النيابـة والوكالة في عصر الإمام الثاني عشر المهدي المنتظـر عليه السلام، حيث سيكون هذا النظام هو (البديـل) لوجود الإمام، وحتى لا يتفاجأ الشيعة بهذه الطريقة، مارس الأئمة المتأخرون القريبون من عصر الإمام المهدي نظام النيابـة بشـكلٍ مكثّف؛ لتدريـب أتباعهم وشيعتهم على هـذا الأسلـوب، وليألفوا وجود الواسطة بينهم وبين الإمام.

رابعًا: إعداد الكفاءات القياديّة لمرحلة الغَيبة

إعـداد كفاءات قياديّة مؤهّلة؛ لتملأ الفراغ نتيجة غياب الإمام المهدي عليه السلام، وقد مارسـ الإمامـان الهادي والعسكـري عليهما السلام دورًا كبيرًا في إعداد هـذه الكفاءات حتى لا تبقى السّاحـة فارغة حينما يغيب الإمام، مما يدفع ببعض أصحاب الأطماع المنحرفة؛ ليملأوا ذلك الفراغ، هذا ما جعل الأئمّة يخطّطون بدقة لتحصين خطّ القيادة من عبث العابثـين في تلك المرحلة الخطيرة جدًّا، وعنـد ذلك المنعطف في تاريخ المسيرة الشيعيّة المنتمية إلى مدرسة الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام.

وقد استطاع الأئمّة عليهم السلام أن يوفّروا عددًا كافيًا من تلك الكفاءات القياديّة المؤهّلة، والتي تمتلك مجموعة مؤهلات أساسيّة:

١- المؤهّل الإيمانيّ الصلب، لأنَّ المرحلة في حاجة إلى مستويات صُلبة الإيمان بخطّ الأئمّة الأطهار، لا تسقط أمام التحديات والإغراءات والمساومات.

٢- المؤهّـل العلمـيّ والثقـافيّ الكبـير؛ لتكون قـادرة علـى تغطية حاجـات المرحلة ومتطلباتها، وإلَّا تاهت المسيرة وانحرفت.

٣- مؤهّـل التقوى والورع في أعلى الدرجـات والمستويات؛ لتوفير القدوات الصالحة

في ظلّ غَيْبَة الإمام المعصوم.

هكذا حرص الأئمّة على إنتاج هذه الكفاءات القياديّة الصالحة والقادرة على تحمّل المسؤوليّات كما تفرضها حاجات المرحلة.

ومن النماذج التي أعدّها الأئمّة لتلك المرحلة:

أ- عثمان بن سعيد العَمْري (قده).

ويقال له (السَّمَّان)، لأنّه كان يتَّجر بالسَّمن؛ تغطية لمهمته الخطيرة جدًّا.

كان الشيعة إذا حملوا إلى الإمام العسكري رسائل أو أموالًا بواسطة عثمان بن سعيد العَمْري يضعها في جِراب السمن وزقاقه، ويوصلها إلى الإمام.

وقد أعطى الإمامان الجواد، والعسكري عليهما السلام عثمان بن سعيد العمري ثقة كبيرة جدًّا.

يقول أحمد بن إسحاق القمّي (من الفقهاء الأجلاء الثِّقات المعتمدين): دخلت على أبي الحسن عليّ بن محمد [الإمام الهادي] (صلوات الله عليه) في يوم من الأيام فقلت: يا سيدي أنا أغيب، وأشهد، ولا يتهيّأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كلّ وقت، فقول مَنْ نقبل، وأمر مَنْ نمتثل؟

فقال لي (صلوات الله عليه): هذا أبو عمرو [عثمان بن سعيد] الثقة الأمين، ما قاله لكم، فعنّي يقوله، وما أدّاه إليكم فعنّي يؤدّيه ...، يقول أحمد بن إسحاق - نفسه -: فلمّا مضى أبو الحسن [الإمام الهادي] عليه السلام ووصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن صاحب العسكر [العسكري] عليه السلام ذات يوم، فقلت له عليه السلام مثل قولي لأبيه [الإمام الهادي]، فقال لي: (هذا أبو عمرو [يعني عثمان بن سعيد العمري] الثقة الأمين، ثقة الماضي، وثقتي في الحياة والممات، فما قاله لكم فعنّي يقوله، وما أدّى إليكم فعنّي يؤديه).[٣]

٣. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ ص ٣٤٤.

وجاء في كتاب الغَيْبَة للشيخ الطوسي: إنَّ جماعة من شيعة اليمن دخلوا على الإمام الحسن العسكري عليه السلام يحملون له بعض المال من الحقوق، فاستدعى الإمام عثمان بن سعيد العمري، وقال له: (امضِ يا عثمان، فإنّك الوكيل، والثقة المأمون على مال الله واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال).[٤]

هكذا أعدَّ الأئمّة (عثمان بن سعيد العمري) لمهمّةٍ خطيرةٍ جدًّا، وهي مهمّة (السفارة) عن الإمام المهدي عليه السلام، وهكذا تمَّ تعيينه (أول سفير) للإمام المهدي حينما بدأت الغَيْبة الصغرى، فلم يشكّ الشيعة في ذلك، وسلّم له كبار الفقهاء والعلماء الأجلاء.[٥]

إجراءات إعداد الكفاءات القياديّة

قلنا في الحديث السابق: إنَّ من أهمِّ التمهيدات لمرحلة غَيْبَة الإمام المهدي: (إعداد الكفاءات القياديّة المؤهلة) كون هذه المرحلة لتشهد فراغًا من (حضور الإمام المباشر).

وقد مارس الأئمّة القريبون من مرحلة الغَيْبة عدّة إجراءات؛ من أجل إعداد هذه الكفاءات القياديّة.

من هذه الإجراءات:

١- احتضان مجموعة من الكفاءات، ورعايتها رعاية خاصة مركزه؛ لتأهيلها علميًّا وروحيًّا وسلوكيًّا وقياديًّا، طرحنا نموذجًا (عثمان بن سعيد العَمري).

٢- إيجاد مستوياتٍ كفوءةٍ تلتف حول هذه الكفاءات، فالقيادة في حاجةٍ إلى عددٍ من المستويات الكفوءة والموثّقة من قبل الأئمّة عليهم السلام.

---

٤. الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٥٦.

٥. التاريخ: ٢٧ مارس ٢٠٠٩م، الموافق: ٢٨ ربيع الأول ١٤٣٠هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ١٩٣، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

وظيفة هذه المستويات:

أ- إعطاء دعم ومساندة للقيادة.

ب- يشكّلون جهازًا استشاريًّا للقيادة.

ج- حلقات وصل بين القيادات العليا والقواعد الشعبيّة.

فالهيكليّة التي اعتمدها الأئمّة لمرحلة الغَيْبَة الصغرى (لا نتحدّث هنا عن مرحلة الغَيْبَة الكبرى، فإنّها هيكليّة أخرى).

- الإمام قمة الهرم القيادي.
- السفير: ويتواصل مباشرة مع الإمام.
- الوكلاء: الوسطاء بين السفير والقواعد الشعبيّة في أكثر الحالات، لا يعني هذا أن السفير لا يلتقي القواعد الشعبيّة.
- القواعد الشعبيّة المنتمية إلى خطّ الأئمّة عليهم السلام.

٣- ربط القواعد الشعبيّة بالقيادات المؤهلة، صدرت توصيات وتوجيهات من قبل الأئمّة تؤكّد على أتباعهم ضرورة الانقياد للنواب والوكلاء المعينين، والحذر من (أدعياء النيابة).

سنتناول في موقع آخر من مواقع هذه الحديث (ظاهرة أدعياء السفارة والنيابة).

بعد هذا العرض، نتناول نموذجًا آخر من (الكفاءات القياديّة التي أعدّها الأئمّة لمرحلة الغَيْبة، هذا النموذج هو (محمد بن عثمان بن سعيد العَمْري)، وقد عاصر الإمامين العسكري والمهدي عليهما السلام، وكان له منزلة عظيمة عندهما.

روى الشيخ الطوسي بسنده إلى أحمد بن إسحاق، أنّه سأل الإمام الحسن العسكري عليه السلام: مَن أُعامل؟

وعمَّن آخذ؟

وقول مَن أقبل؟

نلاحظ أنّ هذا الفقيه الكبير يكرّر هذا السؤال على الإمام العسكري بعد أنْ سبق وأنْ طرحه على الإمام الهادي، وهذا يؤكّد على حقيقتين مهمّتين:

الحقيقة الأولى: إنَّ الإنسان مهما كان مستواه العلمي، يجب أن ينطلق في حركته من توجيهات الإمام، فمن هذه التوجيهات يستمد شرعية الانطلاق والحركة والمواقف.

الحقيقة الثانية: الخضوع والتسليم للمواقع القياديّة التي يحدّدها الإمام.

ماذا قال الإمام الحسن العسكري لأحمد بن إسحاق الفقيه الكبير؟

أجابه بقوله: «العمري وابنه ثقتان فما أدَّيا إليك فعنِّي يؤدِّيان، وما قالا فعنّي يقولان، فاسمع لهما وأطعهما، فإنّهما الثقتان المأمونان».[٦]

وهكذا أصبح عثمان بن سعيد العمري السفير الأول للإمام المهدي، توّلى السفارة من سنة (٢٦٠هـ) حتى سنة (٢٦٥هـ)، وتولى السفارة بعده بأمر من الإمام المهدي ابنه محمد بن عثمان من سنة (٢٦٥هـ) حتى سنة (٣٠٥هـ) أيّ مدة أربعين سنة (أطول السفراء مدة)، وبعده عيّن الإمام المهدي الحسين بن روح النوبختي سفيرًا ثالثًا.

في حياة السفير الثاني بدأت التهيئة للحسين بن روح.

---

٦. الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٢٤٣.

يقـول أبـو جعفر بن علـي الأسود (مـن الوكلاء الذيـن يشكّلون حلقة بـين السفير والنـاس): «كـنت أحمل الأموال التي تحصل في بـاب الوقف إلى أبـي جعفر محمد بـن عثمان العمري رحمه الله فيقبضها مـنـي، فحملت إليه يـوما شيئًا من الأموال في آخر أيامـه قبـل موته بسنتين أو ثـلاث سنين، فـأمـرني بتسليمه إلى أبـي القاسم الروحي رضي الله عنه [الحسين بن روح النوبختي]».[٧]

وكان الشيعـة، وفي مقدمتهم كبار الفقهاء يسلمّـون لأوامر الإمام، ولا ينكرون ذلك حتى لو جاء الأمر خلاف توقعاتهم..

روى الشيخ الطوسي عن جعفر بن أحمد بن متيل [من أبرز المعتمدين المقربين إلى محمـد بـن عثمان حتى أنّه في آخر عمره لا يـأكل طعامًا إلّا ما أصلح في منزل جعفر بن أحمد، وكان شيوخ الشيعة لا يشكون أنّه الخلف لمحمد بن عثمان]: «لما حضرت أبا جعفر محمـد بن عثمان العمري الوفاة كنت جالسًا عند رأسه أسأله وأحدثه، وأبو القاسم بن رَوح عند رجليه، فالتفت إليّ ثمّ قال: أمرت أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح.

قـال: فقمت من عنـد رأسه، وأخذت بيد أبي القاسم، وأجلسته في مكاني، وتحولت إلى عند رجليه»[٨].[٩]

٧. المصدر نفسه: ص ٣٧٠.

٨. المصدر نفسه.

٩. التاريخ: ٣ أبريل ٢٠٠٩ م، الموافق: ٦ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ١٩٤، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

◄ الفصل الثَّاني

الـغَـيْـبَـة

حقيقة الغَيْبَة من الرِّوايات

في اليوم الثامن من ربيع الأول سنة (٢٦٠هـ) كانت وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وفي اليوم التاسع من ربيع الأول سنة ٢٦٠هـ بدأت إمامة الإمام الحجَّة المهدي المنتظر (عجَّلَ الله فَرَجَه، وسهَّل مَخْرَجَه، وجعلنا من أنصاره وأعوانه والذائدين عنه، والمستشهدين بين يديه).

ومع بداية إمامة الإمام المهدي المنتظر، بدأت غَيْبَته واختفاءه واستتاره عن الأنظار، وكانت (الغَيْبَة) ظاهرة جديدة في حياة الأئمة عليهم السلام، فلم يسبق لأحد منهم قبل الإمام الحجة المنتظر أن غاب عن الانتظار، وقد فرض هذا الأمر على الأئمة من أهل البيت عليهم السلام أن يهيئوا ذهنية ونفسية أتباعهم لهذا الحدث الجديد؛ خشية أن يفاجأوا به، فيشكل لهم صدمة صعبة - كما حدث بالفعل أنّ شكلت الغَيْبة صدمة قاسية لبعض أتباع مدرسة أهل الأئمة من أهل البيت -؛ ومن أجل التهيئة والإعداد لغَيْبَة الإمام الحجة المهدي المنتظر صدرت كلمات صريحة وواضحة عن الأئمة عليهم السلام تتحدث عن هذا الأمر.

وهذه طائفة من الروايات صحيحة الإسناد تتحدث عن موضوع (الغَيْبَة):

عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلْقًا وخُلُقًا، تكون له غَيْبَة وحيرة حتى تضل الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب، فيملأها قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا».[1]

وعن زرارة قال: قال أبو عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام: «يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم.

فقلت له: ما يصنع الناس في ذلك الزمان؟

---

١. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق- ص ٢٨٧.

قال: يتمسكون بالأمر الذي هم عليه؛ حتى يتبين لهم».[٢]

وعن إسحاق بن عمار قال: قال أبو عبد الله (الإمام الصادق) عليه السلام: «للقائم غَيْبَتان: إحداهما قصيرة، والأخرى طويلة ...».

وعن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام: «إنّ بلغكم عن صاحب هذا الأمر غَيْبَة، فلا تنكروها».[٣]

عن الإمام علي بن موسى الرِّضا عليه السلام في حديث له عن الإمام المهدي المنتظر قال: «ذاك الرابع من ولدي، يغيِّبه الله في ستره ما شاء، ثم يظهره، فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا، كما ملئت جورًا وظلمًا».[٤]

عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر - يعني الإمام الباقر - عليه السلام قال: سمعته يقول: «إنَّ أقرب الناس إلي الله عزّ وجلّ، وأعلمهم به، وأرأفهم بالناس محمد صلى الله عليه وآله، والأئمة عليهم السلام، فادخلوا أين دخلوا، وفارقوا مَن فارقوا، فإنَّ الحق فيهم، وهم الأوصياء، ومنهم الأئمَّة، فأينما رأيتموهم فأتبعوهم، وإنْ أصبحتم يوما لا ترون منهم أحدًا فاستغيثوا بالله عزّ وجلّ، وانظروا السنة التي كنتم عليها واتبعوها، وأحبوا مَن كنتم تحبون، وأبغضوا من كنتم تبغضون، فما أسرع ما يأتيكم الفَرَج».[٥]

وعن صفوان بن مهران، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: «أما والله ليغِيبنَّ عنكم مهديكم حتى يقول الجاهل منكم ما لله في آل محمد صلى الله عليه وآله حاجة، ثم يقبل كالشهاب الثاقب، فيملأها قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا».[٦]

---

٢. المصدر نفسه: ص ٣٥٠.

٣. الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ ص ٣٣٨.

٤. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٧٦.

٥. المصدر نفسه: ص ٣٢٨.

٦. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ ص ١٤٥.

عن أبي أحمد محمد بن زياد، قال: سألت سيدي موسى بن جعفر (الإمام الكاظم) - وذَكَر الحديث إلى أن قال -: فقلت: ويكون في الأئمة مَن يَغيب؟

قال: «نعم يغيب عن أبصار الناس شخصه، ولا يغيب عن قلوب المؤمنين ذِكْرُه، وهو الثاني عشر منَّا، يسهل الله له كل عسير، ويذلل له كل صعب، ويظهر له كنوز الأرض، ويقرب له كل بعيد، ويبير به كل جبَّار عنيد - إلى آخر الحديث».[٧]

عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنَّ للقائم غَيْبة قبل أن يقوم...»[٨]، القائم: الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

عن إبراهيم بن عمير الكناسي، قال: سمعت أبا جعفر (الإمام الباقر) عليه السلام، يقول: «إنَّ لصاحب الزمان هذا الأمر غَيْبَتين، وسمعته يقول: «لا يقوم القائم ولأحد في عنقه بيعة»[٩]، صاحب هذا الأمر: الإمام المهدي المنتظر.

• عن أبى الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «كأني بالشيعة عند فقدهم الرابع من وِلدي كالنعم يطلبون المرعى فلا يجدونه.

قلت له: ولم ذاك يا ابن رسول الله؟

قال: لأنَّ إمامهم يغيب عنهم.

فقلت: ولِمَ؟

قال: لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة إذا قام بالسيف».[١٠]

---

٧. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٦٩.

٨. المصدر نفسه: ص ٣٤٢

٩. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ١٧٦.

١٠. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٤٨٠.

هذه مجموعة روايات، وغيرها كثير مدونة في أوثق مصادر الحديث، وقمت شخصيًّا بدراسة سندية لعدد كبير من الروايات، التي تتحدث عن غَيْبَة الإمام المهدي المنتظر، فوجدتها تملك درجة عالية جدًّا من الصِّحَّة، ورواتها يملكون درجة عالية جدًّا من الوثاقة، وهذه الدراسة جزء من مشروع يحاول أنْ يعالج كل الإشكالات حول (الإمام المهدي المنتظر)، وقد أسميته «الإمام المنتظر .. قراءة في الإشكاليَّات».

أسأل الله تعالى أنْ يوفقني لإنجازه.[١١]

المرحلة الأولى: الغَيْبَة الصُّغرى

غَيْبَتان

وبعد أنْ استعرضنا بعض روايات الغَيْبَة نطرح هذا السؤال: لماذا حدثت غَيْبَتَان - صغرى، وكبرى-؟

الجواب: من المعلوم أنَّ للإمام المهدي المنتظر غَيْبَتَين:

١. الغَيْبَة الصُّغرى: بدأت سنة ٢٦٠هـ، وانتهت ٣٢٩هـ، أي استمرت ما يقرب من سبعين سنة.

٢. الغَيْبَة الكبرى: بدأت سنة ٣٢٦هـ، ولا زالت مستمرة حتى يأذن الله تعالى بالظُّهور؛ ليملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا.

أمَّا لماذا الغَيْبَة الصُّغرى؟

الغَيْبَة غَيب من غيب الله تعالى وهو العالم بأسراره، ولكن ما يمكن أن نفهمه من حكم ومصالح هذه الغَيْبَة الصُّغرى، الحكمتين والمصلحتين التَّاليتين:

١- التهيئة والإعداد للغَيْبَة الكبرى، وحسبما ذَكَرْنا، فإنَّ ظاهرة «الغَيْبَة» لم تكن مألوفة في حياة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وما كان الواقع الشيعي المنتمي إلى

١١. تم إنجاز جزء من المشروع وصدر أخيرًا في ٦ أجزاء.

مدرسة أهل البيت عليهم السلام قد مرَّ بهذه التجربة، وحتى لا يصاب هذا الواقع باهتزاز وارتباك وحيرة وصدمة، فلا بدَّ من مرحلة لا تشكل غَيْبَة كاملة، وإنما متوسطة بين الغَيْبَة والحضور، فالإمام ليس غائبًا كل الغَيْبة، بل له نحو من الاتصال عبر السفراء والوكلاء، وهكذا بدأت القاعدة الشيعية تتعاطى مع هذا الشكل من العلاقة مع الإمام المعصوم؛ استعدادًا وتهيؤًا للتعاطي مع الغَيْبَة الكاملة.

٢- التأسيس لفكرة (النيابة العامَّة عن الإمام المعصوم)، فمن خلال (النيابة الخاصة) في مرحلة الغَيْبَة الصغرى يتأسس الأمر لفكرة النيابة العامة، فإذا كانت (النيابة الخاصة) تعني (التَّعيين المباشر) من قبل الإمام المعصوم، فهو الذي يحدد النائب شخصًّا واسمًا، فإن (النيابة العامَّة) تعني (التَّعيين غير المباشر)، وهنا يحدِّد الإمام (العنوان والمواصفات)، والأمَّة من خلال (أهل الخبرة) هي التي تشخِّص هذا (النائب).

والمسألة في حاجة إلى توضيح نتناوله لاحقًا.[١٢]

سفراء الغَيْبَة الصُّغرى

مَن هم سفراء الغَيْبَة الصُّغرى؟

ما هي مهام هؤلاء السُّفراء؟

مارس دور السفارة في مرحلة الغَيْبَة الصُّغرى أربعة من السفراء، وهم:

١- عثمان بن سعيد العَمْري.

٢- محمد بن عثمان بن سعيد العَمْري.

٣- الحسين بن رَوح النوبختي.

٤- محمد بن علي السمري.

---

١٢. التاريخ: ٩ أبريل ٢٠٠٩ م، الموافق: الثامن من ربيع الأول ١٤٢٧هـ، حديث الجمعة: ١١١، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

وقد أدّى هؤلاء «النواب الأربعة» أدوارهم بكفاءة متميزة في مرحلة من أصعب المراحل، مما برهن على أن اختيارهم لتلك المرحلة كانت اختيارًا دقيقًا ومدروسًا.

وهذه لمحة موجزة للتعريف بهؤلاء السفراء الأربعة (أو النواب الأربعة):

١. السفير الأول: عثمان بن سعيد العَمْري الأسدي

مدة سفارته: من ٢٦٠ هـ، حتى ٢٦٥ هـ، عاصر ثلاثة من أئمة أهل البيت: الإمام علي بن محمد الهادي، والإمام الحسن بن علي العسكري، والإمام المهدي المنتظر عليهم السلام.

وقد خدم الإمام الهادي، وله من العمر إحدى عشرة سنة.

ما هي منزلته عند الأئمة عليهم السلام؟

يمكن أنْ نتعرف على «القيمة المتميزة» له عند الأئمة عليهم السلام من خلال النصوص التالية:

النص الأول: جاء في أصول الكافي لثقة الإسلام الكليني، عن أحمد بن إسحاق أنه سأل الإمام الهادي عليه السلام: مَن أعامل، أو عمَّن آخذ؟، وقول مَن أقبل؟

فقال الإمام عليه السلام له: «العَمْري ثقتي، فما أدى إليك عنِّي فعني يؤدي، وما قال لك عني فعنِّي يقول، فاسمع له، وأطع، فإنه الثقة المأمون».[١٣]

النص الثاني: جاء في أصول الكافي لثقة الإسلام الكليني، عن أحمد بن إسحاق أنه سأل الإمام العسكري عليه السلام: عمَّن يأخذ دينه؟

فأجابه الإمام العسكري: «العَمْري وابنه - يعني محمد بن عثمان - ثقتان، فما

١٣. الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ ص ٣٣٠.

أدَّيا إليك عني فعني يؤدِّيان، وما قالا لك فعنِّي يقولان، فاسمع لهما، وأطعهما، فإنهما الثقتان المأمونان».[١٤]

النص الثالث: جاء في كتاب (الغَيْبَة) لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي، عن أحمد بن اسحاق القمي قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد (صلوات الله عليه) في يوم من الأيام، فقلت: يا سيدي، أنا أغيب وأشهد، ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فقول مَن نقبل؟، وأمر مَن نمتثل؟

فقال لي صلوات الله عليه: «هذا أبو عمرو - يعني عثمان بن سعيد العَمْري - الثقة الأمين ما قاله لكم فعني يقوله، وما أداه إليكم فعني يؤديه».[١٥]

٢. السفير الثاني: محمد بن عثمان العمري

مدة سفارته: من سنة ٢٦٥هـ، حتى ٣٠٥ هـ، له مكانة ومنزله عظيمة عند الأئمة عليهم السلام، ويمكن أن نتعرف على ذلك من خلال النصوص التالية:

النص الأول: ما ورد عن الإمام العسكري أنه قال: «العَمْري وابنه ثقتان».

وقد تقدم نص الحديث.

النص الثاني: ما ورد عن الإمام المهدي عليه السلام قوله: «وأما محمد بن عثمان العَمْري (رضي الله عنه)، وعن أبيه من قبل)، فإنه ثقتي، وكتابه كتابي».[١٦]

النص الثالث: قال عبد الله بن جعفر الحميري: لما مضى أبو عمرو رضي الله عنه - يعني عثمان بن سعيد - أتتنا الكتب من الإمام المهدي بالخط الذي نكاتب به بإقامة أبي جعفر رضي الله عنه - يعني محمد بن عثمان - مقامه».[١٧]

---

١٤. المصدر نفسه: ص ٣٣٠.
١٥. الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٥٥.
١٦. الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٢٩١.
١٧. الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٦٢.

٣. السفير الثالث: الحسين بن روح النوبختي

مدة سفارته: من ٣٠٥ هـ، حتى ٣٢٦ هـ، وقد جاء في النص على سفارته عدة نصوص منها:

النص الأول: روى محمد بن همام قال: إنَّ أبا جعفر محمد بن عثمان العَمري (قدس روحه) جمعنا قبل موته - وكنا وجوه الشيعة وشيوخها -، فقال لنا: «إنّ حدث عليَّ حدث، فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن رَوح النوبختي، فقد أمرت أن أجعله في موضعي بعدي فارجعوا إليه، وعوِّلوا في أموركم عليه».[١٨]

النص الثاني: جاء في كتاب الغَيْبَة لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي: لمَّا اشتدت حاله [أبي جعفر العمري] اجتمع [عنده] جماعة من وجوه الشيعة منهم: أبو علي بن همام، وأبو عبد الله بن محمد الكاتب، وأبو عبد الله الباقطاني، وأبو سهل اسماعيل بن علي النوبختي، وأبو عبد الله بن الوجناء، وغيرهم من الوجوه والأكابر، فدخلوا على أبي جعفر، فقالوا له: إنّ حدث أمر فمَن يكون مكانك؟

فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن رَوح النوبختي القائم مقامي، والسفير بينكم وبين صاحب الأمر والوكيل، والثقة الأمين، فارجعوا إليه في أموركم، وعولوا إليه في مهماتكم، فبذلك أمرت، وقد بلغت».[١٩]

٤. السفير الرابع: علي بن محمد السمري

مدة سفارته: من ٣٢٦ هـ، حتى ٣٢٩ هـ، وهذه بعض النصوص التي تؤكد سفارته:

النص الأول: جاء في كتاب الغَيْبة لشيخ الطائفة الطوسي: عن محمد بن أحمد الصفواني قال: «أوصى الشيخ أبو القاسم رضي الله عنه إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري رضي الله عنه، فقام بما كان إلى أبي القاسم، فلما حضرته الوفاة، حضرت الشيعة عنده، وسألته عن الموكل بعده؟، ولمَن يقوم مقامه؟، فلم يُظهر شيئًا من ذلك،

١٨. الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٧١.
١٩. الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٧١.

وذَكَر أنه لم يؤمر بأنْ يوصي إلى أحد بعده في هذا الشأن».[٢٠]

النصـــ الثاني: جاء في كتاب (كمال الديـــن) للشيخ الصدوق عن الحسن بن أحمد المكتَـــب: «كنت بمدينـــة السلام في السنة التي توفي فيها الشيـــخ علي بن محمد السمري (قدســـ الله روحه)، فحضرته قبل وفاته بأيام، فَأخرج إلى الناس توقيعًا نسخته: «...، فأجمـــع أمرك، ولا تُوصي إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتـــك، فقد وقعت الغَيْبَة الثانية، فلا ظهور إلا بعد إذن الله وَجَلَّ، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جورًا».[٢١]

وفي ضوء هذا الاستعراض لبعض النصوص نخلص إلى ما يلي:

أوَّلًا: إن النواب الأربعة يملكون مكانة متميزة عند الأئمة عليهم السلام، فهم الأمناء الثقات المعتمـــدون، وهم المؤهلـــون كل التأهيل لهذه الموقع الخطير جدًّا، وقد جاء اختيارهم من قبل الأئمة دليلًا واضحًا على هذه المكانة المتميزة، وقد جاء توثيقات الأئمة لهم شاهدًا صريحًا على ذلك.

ثانيًـــا: السيرة الذاتية لهؤلاء النـــواب برهنت بكل وضوح على عظم شأنهم، وجلالة منزلتهم، وعلى ما يتميزون به من تقوى وورع وعفَّه وأمانه، وقد اشتهر أمرهم بذلك في كل الأوساط، هذه ما أكدته كتب الرجال وكلمات رجال الجرح والتعديل.

ثالثًـــا: لقـــد دان لهـــم بالطاعـــة والتصديـــق أعاظـــم العلمـــاء، وأجـــلَّاء الفقهاء في عصرهم، ومن هؤلاء أختار نموذجين:

أ- أحمد بن إسحاق الأشعري القمي

وهو مـــن أصحاب الإمام الهادي، ومـــن خواص أصحاب الإمـــام العسكري، وأدرك بدايات الغَيْبَة الصُّغرى، وهو ممَّن رأى الإمام المهدي.

---

٢٠. الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٩٤.

٢١. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٥١٦.

أَوْرَدَ رواياتٍ كثيرة تدل على وثاقته، وجلالته، وعظم منزلته عند الأئمة عليهم السلام، وهو أحد الثقات المعتمدين في الرواية.

ورغم المكانة الكبيرة المتميزة التي يملكها، فإنه كان يعترف وبكل قناعة وإيمان لأبي عمر عثمان بن سعيد العمري - السفير الأول للإمام المهدي - بموقعه في النيابة والسفارة.

وهذا يؤكد حقيقة تاريخية مهمَّة جدًّا، وهي: إنَّ الكفاءات الشيعية المتميزة في تلك المرحلة كانت تشكل السند الأقوى للسفراء المنصوبين من قبل الإمام في قبال أدعياء السفارة الذين واجهوا رفضًا صادقًا في أوساط الشيعة الخاضعين لتوجيهات «القيادة النائبة الشرعية».

ب- القاسم بن العلاء الهمداني

لقي الإمامين الهادي والعسكري عليهما السلام وهو من وكلاء الإمام المهدي عليه السلام، يعد من شيوخ الشيعة الأجلَّاء، عمره مائة وسبعة عشر سنة.

وهو من أحد مشايخ ثقة الإسلام الكليني، ومع هذا الموقع المتميز جدًّا كان يعترف لمحمد بن سعيد العمري، وللحسين بن رَوح النوبختي بالسفارة والنيابة الخاصة.[٢٢]

خلاصة

تناولنا فيما سبق نبذة موجزة عن (النواب الأربعة) الذين مارسوا دور النيابة الخاصة في مرحلة الغَيْبَة الصغرى، وقد أكدنا في حديثنا عن هؤلاء النواب الأربعة على ثلاث نقاط مهمة شكلت برهانًا واضحًا على صدقهم:

النقطة الأولى: المكانة المتميزة لهؤلاء النواب الأربعة عند الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وقد أكد ذلك ما صدر عن الأئمة من ثناء، وإطراء، وتوثيق لهؤلاء النواب.

---

٢٢. التاريخ: ١٧ أبريل ٢٠٠٦ م - ربيع الأول ١٤٢٧هـ، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول، حديث الجمعة: ١١٢، غَيْبَة الإمام المهدي المنتظر (الحلقة الثانية).

النقطة الثانية: السيرة الذاتية للنواب الأربعة، والتي عبَّرت عن مستويات عالية من النزاهة، والطُّهر، والعدالة، والاستقامة، والتَّقوى، والورع.

النقطة الثالثة: إذعان وانقياد أجلاء وعظماء الشيعة من فقهاء، وعلماء، ومثقَّفين، ووجهاء في مرحلة الغَيْبة الصغرى لهؤلاء النواب الأربعة.

موقع حصين غير قابل للاختراق

هكذا تم تحصين هذا الموقع الخطير في مواجهة كل الاختراقات، وكل الادعاءات الكاذبة.

لقد حدثت محاولات للاختراق، ووجد (أدعياء نيابة) كذبة حاولوا بدوافع مشبوهة أن يخدعوا الناس، إلا أن الضوابط التي وضعها الأئمة لحماية هذا الموقع، إضافة إلى وعي القاعدة المنتمية إلى مدرسة أهل الأئمة، كذلك السلوك المنحرف لدى هؤلاء الأدعياء، كلُّ ذلك كان له الدور الكبير في إفشال محاولات الاختراق، وفي افتضاح (أدعياء النيابة الكاذبة).

سيرة أدعياء النيابة تفضحهم ولا تزيدهم إلا ضلالًا!

ومن الواضح - من خلال قراءة السيرة الذاتية لأدعياء النيابة - أنهم يتورطون دائمًا في طرح أفكار، ومفاهيم تتنافى - صراحة - مع مسلَّمات مدرسة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وكثيرًا ما يقودهم الجموح المنحرف إلى التناقض الفاضح مع أساسيات الإسلام.

إن قراءة تاريخية لتلك الادعاءات الكاذبة، والتي تمثلت في أشخاص، أو في حركات تبرهن على هذه الحقيقة، فكل تلك الادعاءات انتهت إلى الانحراف التام عن الإسلام، وسقطت في أحضان الإلحاد والزندقة.

تصيُّد في الماء العكر!

ولقد حاول بعضُ الكتَّاب المدلِّسين أن يتخذ من ظاهرة (أدعياء النيابة) دليلًا على بطلان فكرة النيابة، فما دامت هذه الفكرة قد أصبحت ملاذًا لكلِّ العابثين والمنحرفين، فهـذا دليل واضح على أنها فكـرة باطلة زائفة، بل إن فكرة الإمـام المهدي فكرة باطلة لوجود (أدعياء مهدوية)!!

الجـواب: مـا أسخف هذا اللون من الاستدلال، هل أنَّ الحقائـق الدينية والإنسانية تنقلـب إلى أباطيـل لمجرد وجود (أدعيـاء كَذَبَة)، و(حملة شعـارات زائفة) حاولوا أن يعبثوا بتلك الحقائق الدينية والإنسانية؟!!

هـل أنَّ حقيقيـة «الربوبيـة والألوهية» تصبـح حقيقة زائفة لمجرد وجـود (أدعياء الألوهية، وأدعياء ربوبية كَذَبَة)؟!!

وفق هذا الاستدلال الأهوج لهؤلاء الكتَّاب المفلسِين يكون الأمر كذلك!

وهـل أنَّ حقيقة (النُّبوَّات والرِّسـالات) تصبح حقيقية باطلة لمجرد وجود (أدعياء نبوَّة، وأدعياء رسالة كَذَبَة)؟!!

وفق هذا الاستدلال الأهوج لهؤلاء الكتَّاب المفلسِين يكون الأمر كذلك!

وهل أنَّ حقيقة (الإمامة) تصبح حقيقة باطلة لمجرد وجود (أدعياء إمامة كَذَبَة)؟!!

وفق هذا الاستدلال الأهوج لهؤلاء الكتَّاب المفلسِين يكون الأمر كذلك!

وهـل أنَّ الحقائـق الإنسانية الكبرى: العـدل، الحريَّة، الشَّـرف، الفضيلة، العزَّة، الكرامـة، الخير، الصَّـلاح، الإنصـاف - إلى آخرة قائمة هذه الحقائـق - هل تُصبح أباطيل لمجرد (أدعياء كَذَبَة) تاجروا بهذه القيم الإنسانية؟!!!

وفق هذا الاستدلال الأهوج لهؤلاء الكتَّاب المفلسِين يكون الأمر كذلك!

إنَّ وجـود (أدعيـاء نيابة كَذَبة) لا يعنـي أن فكرة النيابة فكرة باطلـة، ولا يعني أنَّ قضيـة الإمام المهـدي قضية باطلة، لقد ذكر لنـا التاريخ «محمَّدًا بـن نصير النميري واحـدًا ممَّن ادعـوا النيابة كذبًا وزُورًا، وقـد أجمعت المصادر الرجاليـة على انحرافه فكريًّـا وروحيًّـا وسلوكيًّا، وبلغ به الأمر أن ادعى النُّبوَّة، وكان يقول بالتناسخ، وحسب ما جـاء في بعض المصادر، فإنَّ أتباعه قـوم إباحية تركوا العبادات والشَّرعيات، واستحلوا المنهيات والمحرَّمات.

والنمـيري من الغلاة المعروفين، والذين صدر اللعـن عليهم من قبل الأئمة عليهم السلام، قال العلامة الحلِّي في الخلاصة: «إنَّ النميري لعنه الإمام الهادي عليه السلام».[٢٣]

فهـل مـن الإنصاف أن يقارن (النـواب الأربعة) المتميزين بأعلـى درجات الوثاقة والعدالـة، والطهـر والنقـاء والبصـيرة والإيمـان بأمثال هـؤلاء الأدعيـاء المنحرفين كالنمـيري، والشريعي، والشلمغاني، كما فعل القفـاري، وأحمد الكاتب، وأمثالهم ممَّن حاولـوا إرباك الصورة، وتشويش الرؤيـة، وخلط الأوراق، ممَّا يتنافى مع نزاهة البحث وموضوعيتـه، كما حاولـوا - عن قصد - أن يتعاملوا مع (الحـالات الدخيلة) في سياق التعامل مع (الحالات الأصيلة)؟!

إنَّ هـؤلاء الكتاب يهدفـون إلى التشكيك في قضية الإمام المهـدي، وإثارة الشبهات حولهـا، ممـا جعلهم يمارسـون هـذا الخلـط المتعمـد، إلَّا أنَّ كل محـاولات التشكيك والتشويش والتشويـه قد سقطت، فهذه القضية تملك من الأدلـة والبراهين والإثباتات القوية ما يعطيها القدرة على مواجهة كل الإشكالات الإثارات والشبهات.[٢٤]

---

٢٣. خلاصة الأقوال - العلامة الحلي - ص ٤٠١.

٢٤. التاريخ: ٢٢ أبريل ٢٠٠٦ م، الموافق: ٢٢ ربيع الأول ١٤٢٧هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ١١٤، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول، حديث الجمعة ١١٣.

مهام النواب الأربعة (السفراء) في عصر الغَيْبة الصُّغرى

في مرحلة الغَيْبَة الصغرى (٢٦٠هـ - ٣٢٩هـ) كان النواب الأربعة (السفراء) الذين عينهم الإمام المهدي المنتظر عليه السلام يمارسون مجموعة مهام، من أبرزها:

المهمة الأولى: إنجاز مشروع الغَيبة

المساهمة الفاعلة في إنجاز (مشروع الغَيبة) من خلال الدقة المتناهية في التعاطي مع هذا المشروع، بما يفرضه هذا التعاطي من قدرة فائقة جدًّا في ممارسة السرية والكتمان، وفي (النظامية) المحكمة، ولعل اختيار هؤلاء النواب الأربعة من قبل الإمام المهدي عليه السلام دون سواهم من أصحاب الكفاءات العلمية والمتميزة - وهم كُثُر في تلك المرحلة - بسبب ما يملكه هؤلاء النواب من قدرات كبيرة جدًّا في الالتزام بـ«السرية والكتمان»، والمحافظة على (نظامية الإيصال)، إلى جانب ما توفروا عليه من كفاءات علمية، واستعدادات روحية ونفسية، ومستويات سلوكية.

المهمة الثَّانية: تسلُّم التَّوقيعات

تسلم (التوقيعات) الصادرة من الإمام المهدي عليه السلام، وإيصالها إلى «القاعدة الشعبية» المنتمية إلى مدرسة الأئمة عليهم السلام، وتتضمن هذه التوقيعات عادة:

١- الأحكام والفتاوى الصادرة من الإمام عليه السلام.

٢- الأوامر والتوجيهات التنظيمية.

٣- التوثيقات، وتعين الوكلاء.

٤- حل المشكلات التي تواجه أتباع المدرسة.

٥- التصدي لكل الأخطار التي تهدد الواقع الإسلامي العام.

المهمة الثَّالثة: المهمَّة الماليَّة

وتتمثل فيما يلي:

١- قبض الأموال (الزَّكوات، والأخماس، وغيرها)، وإيصالها إلى الإمام عليه السلام، وقد اعتمد «النواب» أساليب متناهية في (السرية والخفاء) لخطورة (المسألة المالية) في حسابات السُّلطة الحاكمة، ولعل اختيار هؤلاء (النواب) في أحد أسبابه؛ كونهم لا يحملون عناوين واضحة في الواقع الاجتماعي العام، مما لا يثير انتباه أجهزة الأمن التابعة لمؤسسات السُّلطة.

٢- توظيف المال - وبإجازة الإمام عليه السلام وتوجيهاته - في خدمة كل قضايا الناس الدينية والاجتماعية والمعيشية، بالطريقة التي لا تتنافى متطلبات المرحلة فيما تفرضه من سرية وكتمان لحركة الغَيبة، وشؤون النِّيابة، وأوضاع الأتباع.

المهمة الرَّابعة: تنظيم شؤون الوكلاء

تنظيم شؤون الوكلاء الذين يمثلون (الامتداد القيادي) في حركة الإمامة على كل المستويات الفكرية والروحية والاجتماعية والسياسية، ويعبر عن هذه المهمة في عمل السفراء:

١- تعيين (الوكلاء) حسب الأوامر الصادرة من الإمام نفسه، عبر السفراء، أو بالشكل المباشر أحيانًا.

٢- النائب الخاص «السفير» يشكل الحلقة الواصلة بين الإمام والوكلاء وفق الصيغة الهيكلية لمرحلة الغَيْبَة الصغرى، إلَّا أن تفرض الظروف الاستثنائية خلاف ذلك.

٣- التصدي لحالات (الادِّعاء الكاذب) فيما هي النوازع الذاتية المنفلتة، والأطماع الشخصية، مما يدفع البض إلى محاولات الاختراق لموقع (النيابة، والوكالة).

المهمة الخامسة: الإشراف على الواقع الشِّيعي

الإشراف العام على (الواقع الشيعي) المنتمي إلى مدرسة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وتتمثل هذه المهمة في الممارسات التالية:

١- التوجيه الفكري، والثقافي، والروحي، والأخلاقي، والفقهي.

٢- حماية الواقع الاجتماعي، والسياسي.

٣- التصدي لكل الانحرافات الطارئة.

٤- قضاء الحوائج، وحل المشكلات، وحسم الخلافات.[٢٥]

* نتائج البحث في الغَيْبة الصُّغرى

من خلال مجموعة أحاديث تقدمت عن (مرحلة الغَيْبَة الصغرى) لإمامنا المهدي المنتظر عليه السلام نستطيع أن نخلص إلى عدة نتائج أهمها:

النتيجة الأولى: إنَّ الغَيْبَة الصُّغرى مرحلة مؤقَّتة، استمرت من سنة (٢٦٠هـ) حتى سنة (٣٢٩هـ)، وقد استطاعت هذه المرحلة أن تهيئ ذهنية الشيعة إلى مرحلة الغَيْبَة الكبرى والتي بدأت منذ سنة (٣٢٩هـ) بوفاة السفير الرابع علي بن محمد السمري، ولازالت مستمرة حتى الآن إلى أن يأذن الله تعالى لقائم آل محمد صلى الله عليه وآله بالظهور، وإقامة دولة العدل الكبرى في العالم كما أكدت ذلك الروايات الصحيحة المتواترة عند المسلمين، والمدوَّنة في أهم المصادر المعتمدة لدى السُّنَّة والشِّيعة، وهذا ما سوف نتناوله في لقاءات قادمة - إنْ شاء الله تعالى -.

وما أحوجنا إلى تكثيف الحديث عن الإمام المهدي المنتظر في هذه الظروف الصعبة التي يمر بها العالم في هذا العصر، وفي هذه الأجواء المعقَّدة التي تحاصر الإنسان المسلم، وتعقد الكثير من خياراته.

---

٢٥. التاريخ: ٣٠ أبريل ٢٠٠٦ م - ربيع الآخر ١٤٢٧هـ، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول، حديث الجمعة: ١١٤.

وحينما نؤكد ضرورة الحديث عن الإمام المهدي المنتظر في هذه الظروف والأوضاع والأجـواء الصعبة والمعقدة، لا نهدف من ذلـك أن نضع الأمَّة في أحضان (الاسترخاء، والغَيْبوبة) وهي مشدودة إلى (أمل الخلاص) على يد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف رغم ما لهذا الأمـل مـن دلالات كبيرة جدًّا - سنعرض لها لاحقًا بإذن الله تعالى -، وإنما نهدف إلى أن نعطي لعقيدة الانتظار مضمونها الواعي، وحضورها الفاعل في حركة الأمَّة الروحيَّة، والثقافيَّـة، والاجتماعيَّة، والسياسيَّـة ...، ونهدف كذلك إلى مواجهة حالات الانحراف التـي أخذت تنتشر فيما تحملـه من «دعاوى كاذبة» في الارتبـاط بقضية الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

النتيجة الثانية: لقد اعتمد الإمام المهدي عليه السلام في مرحلة الغَيْبَة الصغرى «أسلوب النيابـة الخاصة»، وهذا الأسلوب يعني أن الإمام عليه السلام يتدخل وبشكل مباشر في تعيين (النواب، والوكلاء) الذين يمثلونه، ويشكلون حلقات الاتصال بينه وبين الأمَّة.

هذا الأسلوب انتهى بانتهاء الغَيْبَة الصغرى كما أكَّدت ذلك التوقيعات الصادرة عن الإمام المهدي عليه السلام.

وماذا يعني انتهاء هذا الأسلوب؟

إنَّـه يعنـي بكل وضوح: إنَّ أي ادعاء ينطلق بعد ذلك يحمل صفة النيابة الخاصة، أو التكليف الخاص، أو السَّفارة، أو تلقي الأمر مباشرة، فهو ادِّعاء باطل، وصاحبه «مفترٍ كذَّاب».

ويعنـي انتهاء هذا الأسلوب كذلك: إنَّ الأمَّة مسؤولة كل المسؤولية لأن تتصدى لهذا الادعـاء الكاذب، وإلا كانت خائنة للأمانة، ومفرِّطـة كل التفريط في انتمائها إلى خط الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ولقـد شهد الماضـي والحاضر هذا اللون من الادِّعـاءات الكاذبة سواء على مستوى أشخاص وأفراد أم على مستوى تنظيمات وحركات.

ورغم أن هذه الادِّعاءات كاذبة قد استطاعت - وبشكل محدود جدًّا - أنْ تؤثر على بعض النفوس السَّاذجة والضعيفة، إلا أنَّها - بشكل عام - اصطدمت بوعي القاعدة الشيعية العريضة، وبفضل تصدِّي الفقهاء والعلماء مما أفشل هذه المحاولات، وحجَّم حركتها، وانطلاقاتها، وتأثيراتها.

إنَّ موقع النيابة الخاصة قد وُضِعت له مجموعة محصنات تحميه في مواجهة كل الاختراقات، وفي مواجهة كل الانحرافات والادعاءات الكاذبة.

من أهم هذه المحصِّنات:

١- صاحب هذا الموقع يجب أن يتوفر على عدة مؤهلات وخصائص ومميزات عقيدية وفكرية، وروحية، ونفسية، وسلوكية، كـ:

- مستوى عالٍ جدًّا من الإيمان.

- مستوى عالٍ من التقوى والورع.

- مستوى عالٍ من العلم والثقافة.

- مستوى عالٍ من الكفاءة النفسية.

٢- صاحب هذا الموقع يجب أن يتوفر على توثيق مباشر من قبل الإمام المهدي، أو من قبل أحد الأئمة السابقين، وبالتالي يجب أن يتوفر على تعيين مباشر.

٣- صاحب هذا الموقع يجب أن يحظى بتأييد واعتماد فقهاء الطائفة المعروفين البارزين الموثوقين، فهم الأقدر على تشخيص المؤهلات والمواصفات والتوثيقات، وهم الأقدر على محاسبة كل الادعاءات.

وفي ضوء هذه المحصِّنات يصعب اختراق موقع النيابة، ولذلك افتضحت كل محاولات الاختراق، وسقطت كل الادعاءات الكاذبة.

النتيجـة الثَّالثـة: الجماهير المؤمنة مَطَالَبـة أن تكون على درجـة كبيرة من الوعي والبصيرة والحذر في التعاطي مع أي تشكيل يحاول أن ينتسب إلى عنوان الإمام المهدي ما لم يكن هذا التشكيل يحظى بتأييد وإمضاء ومباركة المرجعية الدينية المعروفة.

لا مشكلـة في أن تنطلـق مؤسسات وجمعيات وتنظيمات تتبنـى تثقيف الأمَّة في خط الإمـام المهـدي، وتتبنى مسألة التهيئـة والإعداد لظهور الإمام المهـدي، ولكن لخطورة هذا الأمـر، ولكثرة الادِّعاءات الكاذبة، كانت الضـرورة الشرعية تفرض أن تكون هذه التشكيلات خاضعة لتوجيهات المرجعية الدينية.

من هنا نصنف التشكيلات التي تحاول أن تنتسب إلى عنوان الإمام المهدي في هذا العصر إلى:

أ- التشكيلات التي تدعى الارتباط المباشر بالإمام المهدي، وأنها تتسلم الأوامر من الإمام نفسه عبر الأحلام والمكاشفات.

ومـن الواضح أن هذه التشكيلات زائفة وكاذبـة، كونها تصطدم مع المسلَّمَة الثابتة في فكـر مدرسـة الأئمة من أهـل البيت عليهم السلام هذه المسلَّمـة الثابتة التي تقـول بانتهاء النيابة الخاصة، والسفارة الخاصة.

فمسؤوليَّـة الأمَّـة أن تتصدى لهذه التشكيـلات، وأن تواجههـا، وأن تحاصرها إذا لم تفلـح معها أساليب الحـوار والنقاش، حيث يسيطر علـى أصحابها الجهل، والعناد، والإصرار على رفض الحوار.

ب- التشكيـلات التـي لا تدعي النيابـة والسفـارة، وتَلَقِّي الأمر من الإمـام، وإنما حددت لها هدفًا عنوانه (ربط الأمَّة بالإمام المهدي) روحيًّا وثقافيا وعمليًّا.

غير أن هذه التشكيلات لا تملك تأييدًا ودعمًا وإمضاء من المرجعية الدينية.

وهـي الأخـرى يجب علـى الأمَّة أن تتحفَّـظ كل التَّحفُّظ في الارتبـاط بها، ليس من

منطلق أن كل مشروع ثقافي أو اجتماعي أو سياسي يجب أن يتوفر على إمضاء المرجعية الدينية - هذه المسألة في حاجة إلى بحث وتفصيل -، وإنما من منطلق خطورة هذا الموضوع وحساسيته، وكثرة منزلقاته.

مسؤولية كل فرد من أبناء هذا الخط أن يكون داعية ومدافعًا عن قضية الإمام المهدي عليه السلام، في مواجهة كل التحديات والإشكالات والشبهات.

ومسؤولية كل فرد من أبناء هذا الخط أن يعيش التهيؤ والاستعداد لظهور الإمام المهدي.

ولكن أن تتكوَّن جماعات وكيانات وتنظيمات بعيدةً عن نظر المرجعيَّة الدينية، وبعيدةً عن توجيهات الرؤى الفقهية، هذا أمر في غاية الخطورة.

ج- التشكيلات الموجهة دينيًّا وفقهيًّا من خلال الانتماء إلى خط المرجعية بكل امتداداته في حركة الأمَّة، هذا النمط من التشكيلات والتنظيمات والجماعات لا غبار عليه، ولا محذور من التعاطي معه، ما دام يملك الشرعية الواضحة.

نخلص إلى القول: بأن جماهير الأمَّة في حاجة إلى درجة عالية من اليقظة والحذر في التعامل مع كل الصياغات المتحركة في الساحة وإنْ اعتمدت العناوين الإسلامية، والواجهات الدينية، فضلًا عن تلك الصياغات التي تحمل الصبغة الثقافية والاجتماعية والسياسية البحتة.[٢٦]

المرحلة الثَّانية: مرحلة الغَيْبَة الكبرى

بدأت هذه المرحلة سنة (٨٢٣ هـ)، أو (سنة ٩٢٣ هـ)، ولا زالت قائمة حتى الآن إلى أن يأذن الله تعالى لقائم آل محمد صلى الله عليه وآله بالظهور؛ ليملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا.

---

٢٦. التاريخ: ٧ مايو ٢٠٠٦ م - ربيع الآخر ١٤٢٧هـ، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

وفي هذه المرحلة يمارس الإمام المهدي دوره من خلال (النيابة العامة) حيث يتولى (الفقهـاء المؤهلون) مهمة الإشراف على القواعد المؤمنة بتخويل عام صادر عن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ويجب أن تتوفر (القيادة الفقهائية) في هذه المرحلة على الشروط التالية:

الشرط الأول: الكفاءة العلمية (امتلاك درجة الفقاهة والاجتهاد).

الشرط الثاني: الكفاءة النفسية والسلوكية (امتلاك مستوى عالٍ من العدالة).

الشرط الثالث: الكفاءة القيادية.

وتتمثل هذه الكفاءة في عنصرين:

أ- الوعي القيادي.

ب- الممارسـة القيادية القادرة على توجيـه حركة الأمَّة على كل المستويات الروحية والثقافية والاجتماعية والسياسية.

ما هي وظائف القيادة الفقهائية؟

أهم الوظائف والصلاحيات المناطة بهذه القيادة في مرحلة الغَيْبَة الكبرى:

١- الإفتاء، وبيان الأحكام الشرعية.

٢- القضاء.

٣- الولاية على شؤون الأمَّة.

وهنا خلاف بين الفقهاء في تحديد دائرة هذه الولاية.

المرحلة الثالثة: مرحلة الظهور وقيام الدولة الإسلامية الكبرى

وأهم خصائص دولة الإمام المهدي:

١- العالمية.

ونعني بالعالمية:

أ- قيام الحكومة الإسلامية العالمية بقيادة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

ب- انتشار الإسلام في العالم.

وقد أكدت هذه الحقيقة عدة نصوص:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتحدث عن دولة الإمام المهدي عليه السلام: «... ولا يكون ملك إلَّا الإسلام».[٢٧]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام مشيرًا إلى عصر الإمام المهدي عليه السلام: «حتى لا يبقى قرية إلَّا ونودي فيها بشهادة أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا صلى الله عليه وآله رسول الله بكرة وعشيًّا».[٢٨]

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قام القائم [المهدي] لا تبقى أرض إلَّا نُودي فيها شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله».[٢٩]

٢- انتشار العدل والأمن في الأرض.

قال صلى الله عليه وآله: «فيبعث الله رجلًا من عترتي أهل بيتي، فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا».[٣٠]

---

٢٧. الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ١٧٣.

٢٨. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ ص ٦٠.

٢٩. المصدر نفسه: ج ٦٥ ص ٢٣١ .

٣٠. المصدر نفسه: ج ٥١ ص ١٠٤.

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «أبشروا بالمهدي - قالها ثلاثًا -، فإنه يأتي في آخر الزمان على شدة وزلازل يسع الله له الأرض عدلًا وقسطًا».[٣١]

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «المهدي من وِلدي، تكون له غَيْبَة إذا ظهر يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا».[٣٢]

٣- الرخاء وظهور البركات والخيرات.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «ينزل بأمَّتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم، لم يُسمع بلاء أشد منه، حتى تضيق عنهم الأرض الرحبة، وحتى تملأ الأرض جورًا وظلما، لا يجد المؤمن ملجأ يلتجئ إليه من الظلم، فيبعث الله عَزَّ وَجَلَّ رجلًا من عترتي، فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا يرضى عنه ساكن السماء، وساكن الأرض، لا تدخر الأرض من بذرها شيئًا إلَّا أخرجته، ولا السماء من قَطْرها شيئًا إلَّا صبَّه الله عليهم مدرارًا، يعيش فيهم سبع سنين، أو ثمان، أو تسع، تتمنى الأحياء الأموات ممَّا صنع الله عَزَّ وَجَلَّ بأهل الأرض من خيره».[٣٣]

(٤) تكامل العقول، وانتشار الثقافة والعلم.

عن الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وتؤتون الحكمة في زمانه - يعني الإمام المهدي - حتى أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى، وسُنَّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ».[٣٤]

(٥) التجسيد لسيرة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

عن الإمام الصَّادق قال - ويتحدث عن الإمام المهدي -: «يصنع كما صنع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله أمر الجاهلية، وسيتأنف الإسلام جديدًا».[٣٥]

---

٣١. دلائل الإمامة - محمد بن جرير الطبري - ص ٤٦٧.

٣٢. شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي - ج ١٣ ص ٣٠٣.

٣٣. المستدرك - الحاكم النيسابوري - ج ٤ ص ٤٦٥.

٣٤. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٤٥.

٣٥. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٣٦

وعـن الإمام الباقـر عليه السلام: «ثم يظهر المهـدي بمكة عند العشاء ومعـه راية رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقميصـه، وسيفه، وعلامات، ونور وبيان، فـإذا صلَّى العشاء نادى بأعلى صوتـه، يقـول: اذكِّركم الله أيها النـاس، ومقامكم بين يدي ربِّكـم، فقد اتخذ الحجة، وبعث الأنبياء، وأنزل الكتاب، يأمركم أن لا تشركوا به شيئًا، وأن تحافظوا على طاعته، وطاعةَ رسوله صلى الله عليه وآله ، وأن تحيوا ما أحيا القرآن، وتميتوا ما أمات، وتكونوا أعوانًا على الهـدى، وَوِزْرًا علـى التقوى، فـإن الدنيا قد دنـا فناؤها وزوالها، وأذنـت بالوداع، وإني أدعوكم إلى الله، وإلى رسوله، والعمل بكتابه، وإماتة الباطل، وإحياء سُنَّته».[٣٦]

اللهـمَّ، إنّا نرغـب إليك في دولةٍ كريمةٍ، تُعـز بها الإسلام وأهله، وتـذل بها النفاق وأهلـه، وتجعلنا فيها من الدعـاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلـك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والأخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.[٣٧]

---

٣٦. الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ١٣٧.

٣٧. التاريخ: ٢١ يونيو ٢٠٠٢ م، الموافق: ٩ ربيع الأول ١٤٢٤هـ، المناسبة: تنصيب الإمام المهدي عجل الله فرجه للخلافة، المكان: أبو صبيع، الساحة قرب المأتم الوسطي.

الفصل الثَّالث

عصر الانتظار

المنتظرون

إننـا نعيش في عصـر (الانتظار) انتظار الظهور المبـارك لقائم آل محمد عليه وآله الصلاة والسلام، هذا الظهور الذي يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت ظلمًا وجورًا.

- عـن الإمام الباقر عليه السلام قال: «العارف منكم هذا الأمر، المنتظر له، المحتسب فيه الخير، كمن جاهد والله مع قائم آل محمد عليه وآله الصلاة والسلام بسيفه».

  ثم قال: «بل والله كمن جاهد مع رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام بسيفه».

  ثم قال الثالثة: «بل والله كمن استشهد مع رسول الله عليه وآله الصلاة والسلام في فسطاطه».[1]

- عن مسعدة قال: «كنت عند الصادق عليه السلام إذ أتاه شيخ كبير، قد انحنى متكئًا على عصاه، فسلم، فرد عليه أبو عبد الله الجواب.

  ثم قال: يا بن رسول الله، ناولني يدك أقبلها.

  فأعطاه، فقبلها، ثم بكى.

  ثم قال أبو عبد الله: ما يبكيك يا شيخ؟

  فقال: جعلت فداك أقمت على قائمكم منذ مائة سنة أقول: هذا الشهر، وهذه السنـة، وقد كبر سني، ورق جِلـدي، ودقَّ عظمي، واقترب أجلي، ولا أرى فيكم مـا أحب، أراكم مقتولين مشرديـن، وأرى عدوكم يطيرون بالأجنحة، وكيف لا أبكي؟

  فدمعـت عينـا أبي عبد الله عليه السلام ثم قـال: يا شيـخ، إنّ الله أبقاك حتى ترى قائمنـا كنت معنا في السنام الأعلـى، وإنْ حلت بك المنية جئت يوم القيامة مع ثقل محمد عليه وآله الصلاة والسلام، ونحن ثقله، قال عليه وآله الصلاة والسلام: إني مخلف فيكم الثقلين ... .

---

١. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٤ ص ٣٨.

فقال الشيخ: لا أبالي بعد ما سمعت هذا الخبر».[٢]

والسؤال المهم جدًّا والذي يجب أن نطرحه على أنفسنا، ونحن نعيش هذا العصر الذي غاب فيه إمامنا (أرواحنا فداه): كيف نهيِّئ أنفسنا؛ لكي نكون في خط الانتظار؟

الشرط الأوَّل: أن نعيش التواصل مع الإمام من خلال الأدعية والأذكار والزيارات.

هل نكتفي بالدعاء والبكاء؛ لنكون في عداد المنتظِرين لظهور مولانا الإمام القائم؟

لا نشك أن الدعاء والبكاء مطلوبان في عصر الغَيْبَة، وقد ورد الحث على ذلك في الأحاديث والروايات.

١- ورد الإكثار من هذا الدعاء: «اللَّهمَّ، كن لوليك الحجة بن الحسن في هذه الساعة، وفي كل ساعة وليًّا وحافظًا، وقائدًا وناصرًا، ودليلًا وعينًا، حتى تسكنه أرضك طوعًا، وتمتعه فيها طويلًا».[٣]

٢- وورد أنه مَن قال بعد صلاة الفجر، وبعد صلاة الظهر: «اللَّهمَّ، صلِّ على محمد وآل محمد، وعجِّلْ فَرَجَهم، لم يمت حتى يدرك القائم من آل محمد عليه وآله».[٤]

٣- وورد الإكثار من هذا الدعاء في غَيْبَة القائم عليه السلام: «اللَّهمَّ، عرِّفني نفسك، فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيَّك.

اللَّهمَّ، عرفني نبيك، فإنك إن لم تعرفني نبيك لم أعرف حجتك.

اللَّهمَّ، عرفني حجتك، فإنك إن لم تعرفني حجتك ظللت عن ديني.

---

٢. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٦ ص ٤٠٨.

٣. محمد بن عيسى بإسناده عن الصالحين عليه السلام قال: تكرر في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان هذا الدعاء ساجدًا وقائمًا وقاعدًا، وعلى كل حال، وفي الشهر كله، وكيف أمكنك، ومتى حضرك من دهرك تقول بعد تحميد الله تبارك وتعالى، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله: «اللَّهمَّ، كن لوليك فلان بن فلان في هذه الساعة، وفي كل ساعة وليًّا وحافظًا وناصرًا ودليلًا وقائدًا وعونًا (وعينًا)؛ حتى تسكنه أرضك طوعًا، وتمتعه فيها طويلًا». الكافي - الشيخ الكليني - ج ٤ ص ١٦.

٤. مصباح المتهجد - الشيخ الطوسي - ص ٣٦٨.

اللَّهمَّ، لا تمتني ميتة جاهلية، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني».[٥]

٤- دعـاء الغريق: عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «ستصيبكم شبهة، فتبقون بلا علم يرى، ولا إمام هدى، ولا ينجو منها إلا من دعا بدعاء الغريق.

قلت: كيف دعاء الغريق؟

قال: تقول: يا الله يا رحمن يا رحيم، يا مقلب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك.

فقلت: يا الله يا رحمن يا رحيم، يا مقلب القلوب والأبصار، ثبِّت قلبي على دينك.

قال: إنَّ الله عزوجل مقلِّب القلوب والأبصار، ولكن قل كما أقول لك: يا مقلِّب القلوب، ثبت قلبي على دينك».[٦]

٥- دعـاء العهـد: روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قـال: «مَن دعا إلى الله تعالى أربعين صباحًا بهذا العهد كان من أنصار قائمنا، فإنْ مات قبله أخرجه تعالى من قبره، وأعطاه الله بكل كلمة ألف حسنة، ومحى عنه ألف سيئة».[٧]

(الدعـاء مذكور في كتب الأدعيـة، وأوله: اللَّهمَّ، رب النـور العظيم، ورب الكرسي الرفيع ...).

ويذكر في سيرة الإمام الخميني (رضوان الله عليه) أنه كان له التزام خاص بتلاوة دعاء العهد، وقد التزم بذلك حتى في أيام مرضه الأخير.

٦- دعاء الندبة: ويستحب أن يدعى به في يوم الجمعة.

٧- السلام على صاحب الأمر، وزيارته في كل يوم وخاصة بعد صلاة الفجر.

---

٥. مصباح المتهجد - الشيخ الطوسي - ص ٤١١.

٦. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٥٢.

٧. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٣ ص ٩٥.

أيُّها الأحبَّـة، هذه الممارسات من (الأدعية والأذكار والزيارات) رغم ما تحمله من أهميـة كبـيرة، حيث تصنـع في داخلنا حالـة الانصهار الروحي والوجـداني مع الإمام الحجة (أرواحنا فداه)، وهذا الانصهار عنصر مهم من عناصر الانتظار.

أقـول: رغم هـذه الأهمية، فإنَّ الاكتفاء بهذه الممارسـات وحدها لا تجعلنا في عداد المنتظرِين لظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فكيف نكون من المنتظرين؟

الانتظار له شروط كثيرة.

الشَّرط الثاني: الارتباط النفسي والروحي والوجداني مع الإمام المنتظر، بمعنى أن يكـون الإمام عليه السلام حاضرًا دائمًا في قلوبنا، في مشاعرنا، في وجداننا، في أحاديثنا، في لقاءاتنا، في محافلنا.

ومـن الوسائل لتعميق هذا الارتباط والالتحام الروحي والوجداني مع الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف: المواظبة على قراءة الأدعية والأذكار والزيارات التي ورد التأكيد عليها، وقد أشرنا إلى بعضها.

وهذا الارتباط الروحي والنفسي مع الإمام المنتظر له ثمرات كبيرة منها:

١- يخلـق الأمل في داخلنا، فلا نصاب باليأس والإحباط، رغم ما يعانيه واقعنا من إرهاصات ومحن وفتن وتحديات صعبة.

٢- الارتبـاط بالإمـام المنتظـر يملؤنا بالقوة والعزيمـة والصمـود والثبات، فرغم المواجهـات القاسية، واستنفار القوى الطاغوتية ضـد المؤمنين إلا أن المرتبطين بالإمام المنتظر لا يصابون بالضعف والانهزام.

٣- هذا الالتحـام يخلق عندنا حالة الانضباط والاستقامة، فحينما نعيش إحساسًا نفسيًّـا عميقًا بأن الإمام المنتظر يعيش معنا، يرقب مسيرتنا، يتألم حينما يرانا نمارس

أي لون من ألوان الانحرافات أو المخالفات أو التجاوزات الشرعية.

إن شعورنا بأن هذه المخالفات والمفارقات تشكل إزعاجات وتألمات عند إمامنا وقائدنا، يجعلنا نراقب تلك الممارسات والسلوكيات والتصرفات بالشكل الذي يمنحها رضا الإمام وارتياحه.

الشرط الثالث: الترقب الدائم لظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وهنا يطرح سؤال: لماذا الترقب الدائم، وظهور الإمام عليه السلام مرهون بعلامات معينة، فمتى توافرت تلك العلامات أمكن تحديد زمن الظهور؟

والجواب: إنَّ علامات الظهور على قسمين:

أ- العلامات العامَّة

ب- العلامات الخاصَّة.

أما العلامات العامَّة، فمؤشراتها واضحة: ظهور الفتن، وانتشار الفساد، وتفاقم الانحرافات، وسيطرة الظالمين، وسفك الدماء، وتأجج الحروب، وتقارب البلدان، وإلى آخر تلك العلامات.

أما العلامات الخاصَّة، فهي مقترنة أو قريبة من زمن ظهور الإمام عليه السلام، وهذه العلامات قد تفاجِئنا مفاجأة، لذلك تأتي ضرورة الترقب الدائم، والتوقع المستمر.

ولذلك جاء في بعض الأحاديث: إنَّ «الله يصلحه - يعني الإمام - في ليلة».[٨]

الشرط الرابع: الاستعداد الدائم:

وماذا نعني بالاستعداد الدائم؟

٨. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ١٥٢.

نعني بذلك:

أوَّلًا: أنْ نعد أنفسنا إعدادًا روحيًّا عاليًا، لأنَّ اللقاء مع الإمام المنتظر يحتاج إلى مستوى عالٍ من الروحانية والإيمان والإخلاص لله، وصفاء القلب.

ضرورة أن نمارس الإعداد الروحي بشكل مكثف إذا أردنا أن نكون من المنتظرِين.

ثانيا: أنْ نعد أنفسنا إعدادًا فكريًّا وثقافيًّا، بدرجة كبيرة.

بمعنى أن نتوفر على مستوى من الوعي والفهم والرؤية بمفاهيم الإسلام وأحكامه، تؤهلنا لأن نكون من الكفاءات الصالحة للالتحاق بالإمام المنتظر، فالمستفاد من الروايات أن أنصار الإمام، أو المهديين للإمام يملكون درجات عالية من البصيرة والمعرفة والفقاهة في الدين.

ثالثًا: أنْ نعد أنفسنا إعدادًا سلوكيًّا وعمليًّا بحيث نعيش التقوى، والورع، والالتزام بأحكام الله تعالى.

جاء في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَن سرَّه أن يكون من أصحاب القائم، فلينتظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر».[٩]

فالمنتظرون للإمام عليه السلام نماذج عالية في التدين والورع والصلاح والطاعة والعبادة.

أصحاب الإمام عليه السلام: أتقياء، صلحاء، أخيار، أبرار، عباد طائعون.

إنهم الصَّلحاء والنُّجباء.

«رجال لا ينامون اللَّيل لهم دوي في صلاتهم كدويِّ النَّحل».[١٠]

٩. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٧.

١٠. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٣٠٨.

«رهبان في اللَّيل، ليوث في النَّهار».[١١]

رابعًا: أن نعد أنفسنا إعدادًا رساليًّا وجهاديًّا، فـ:

• المنتظـرون يمثلون الكفاءات المتحركة مع الإمام عليه السلام، وهذه الكفاءات يجب أن تكون مؤهلة بأعلى مستويات التأهيل: وعيًا، وإيمانًا، والتزامًا، وجهادًا.

• الإعداد الرسالي والجهادي يفرض توظيف القدرات الفكريَّة والنفسيَّة والعمليَّة، وترشيد الإمكانات والكفاءات والطاقات في خدمة الإسلام والدين.

لماذا هذا اللون من الإعداد الرسالي العالي جدًّا؟

لأن الإمام المنتظر عليه السلام وكفاءاته المؤهلة سوف يخوضون معارك جهادية صعبة مع القوى الكافرة في العالم وهي المعبَّر عنها في الروايات بـ«الدجال»، ومع القوى الانحرافية في داخل الأمَّة وهي المعبر عنها في الروايات بـ(السفياني).

• فالذين يعيشون الطمـوح والشوق للانضمام إلى كفاءات الإمام الجهادية، يجب عليهـم أن يمارسوا تدريبًـا عمليًّا مكثفًا على أساليب التصـدي والمواجهة والصراع مع تلك القوى الكافرة والقوى الانحرافية.

• ولا شك أن هذا اللون من الإعداد فيه من العناءات القاسية، والابتلاءات الصعبة، والتضحيـات الكبيرة، مـا لا يتحمله إلا المؤمنون الصادقـون الذين أعطوا وجودهم لله تعـالى وانصهروا في خط الأيمان، فهم الجديرون بشرف الانتظار، وهم المؤهلون للقاء الإمام المهدي عليه السلام حين الظهور.

أما الخائرون، الخانعون، اليائسـون، الراكدون، المستسلمون، المترفون، الخائفون، المنهزمون، فهم ليسوا في خط الانتظار، فخط الانتظار هو خط الموقف، وخط التحدي، وخط المواجهة والثبات، والصمود والكلمة الجريئة، والعمل الرسالي والدور الجهادي.

---

١١. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٣٠٨.

الشـرط الخامس: الارتباط الفعلي بقيادة الإمـام المنتظر عليه السلام، وذلك من خلال الارتبـاط العملي بخـط الفقهاء العدول الصالحـون المؤهلون، وبخـط العلماء الممثلين لخط الفقهاء.

والقيادة الفقهائية هي القيادة النائبة عن الإمام المنتظر في عصر الغَيْبَة الكبرى، والتـي بدأت سنـة (٣٢٨ هـ، أو ٣٢٩ هـ) حيـث انتهت الغَيْبَة الصغـرى التي بدأت سنة (٢٦٥هـ)، وكان الإمام يمارس وظيفته في عصـر الغَيْبَة الصغرى من خلال «السفراء الأربعـة»، وبوفـاة السفير الرابـع (علي بن محمد السمـري) انتهت الغَيْبَـة الصغرى، وانتهت السفارة، فمَن ادعى السفارة بعد ذلك فهو «ملعون كذَّاب» كما جاء في الروايات الثابتة الصحيحة.

الوظائف الرئيسة للفقهاء المؤهلين:

١- الإفتاء، وبيان الأحكام الشرعية.

٢- القضاء.

٣- الولاية.

وهنا ثلاثة اتجاهات:

الاتِّجاه الأوَّل: يضيق دائرة الولاية، ويحددها ضمن:

القضـاء، رعاية شؤون القاصريـن، إدارة شؤون الأوقاف العامَّة التي ليس لها متولٍّ خاص، الأمور الحسبية.

الاتِّجاه الثَّاني: يعطي للفقهاء، بالإضافة إلى الأمور السابقة صلاحية إقامة الحدود في عصر الغَيْبَة الكبرى.

الاتِّجـاه الثَّالـث: يوسع دائرة ولايـة الفقيه، فيعطى للفقيه الولايـة الشرعية العامة

في شؤون المسلمين، فالفقيه المؤهل له الحاكمية والسُّلطة العامة على الناس في جميع المجالات: السياسيَّة، والاجتماعيَّة، والتَّربويَّة، والاقتصاديَّة، والتَّنظيميَّة، والحياتيَّة بشكل عام.

الشَّرط السَّادس: التَّوطئة العملية لظهور الإمام المنتظر عليه السلام، وتتمثَّل في:

١- تهيئة كفاءات مؤهلة كافية؛ للانتماء لحركة الإمام المنتظر عليه السلام.

٢- تهيئة أرضية وقاعدة صالحة تدعم حركة الإمام المنتظر عليه السلام.

٣- تهيئة الأجواء الفكرية والنفسية؛ لاستقبال الإمام عليه السلام.

٤- تعميق وترسيخ مبدأ الرفض لكل الكيانات المناقضة للإسلام، والعمل على قيام كيانات تطبق الإسلام.

«يخرج ناس من المشرق، فيوطِّئون للمهدي».[١٢]

«رجل من أهل قم يدعو الناس إلى الحق، يجتمع معه قوم كزبر الحديد، لا تزلهم الرياح العواصف، ولا يملون من الحرب، ولا يجبنون، وعلى الله يتوكلون، والعاقبة للمتقين».[١٣]

الخلاصة: إنَّ المنتظرين هم الذين يهيئون أنفسهم؛ لأن يكونوا أنصارًا للإمام، وأنصار الإمام يتوفرون على مجموعة خصائص:

١- خصائص روحيَّة.

٢- خصائص فكريَّة.

٣- خصائص عمليَّة.

٤- خصائص رساليَّة.[١٤]

---

١٢. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ ص ٨٧.

١٣. المصدر نفسه: ج ٥٧ ص ٢١٦.

١٤. التاريخ: ١٨ أغسطس ٢٠٠٨ م، الموافق: ١٨ شعبان ١٤٢٣ هـ، المناسبة: مولد الإمام المهدي عجل الله فرجه، المكان: مأتم الحيَّاك، المحرق.

مسؤوليَّات الغَيْبَة

أيهـا المؤمنـون السَّائرون في خط الإمـام المنتظر عليه السلام، ما هـي مسؤوليتكم وأنتم تعيشون عصر الغَيْبَة، غَيْبَة الإمام المهدي؟

حركة الإمام المهدي - كما تعلمون - انطلقت في اتِّجاه ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة الغَيْبَة الصُّغرى

بـدأت بـولادة الإمـام المهـدي عليه السلام سنـة ٢٥٥ هجريـة، أو بوفـاة والـده الإمـام العسكـري عليه السلام سنـة ٢٦٠ هجريـة، وانتهت بوفـاة السفير الرابع من سفـراء الإمام الحجَّة عليه السلام سنة (٣٢٨ هجرية، أو ٣٢٩ هجرية).

مدة هذه المرحلة

كان الأتبـاع المنتمـون إلى خط الأئمة من أهل البيـت عليهم السلام يتواصلون مع (الإمام المهـدي عليه السلام من خلال عـدد من السفراء والوكلاء، وقد مارس دور السفارة في هذه المرحلة وبتعيين من الإمام نفسه كل من:

١- عثمان بن سعيد العمري.

٢- محمد بن عثمان العَمْري.

٣- الحسين بن روح النوبختي.

٤- علي بن محمد السمري.

وبوفـاة السفير الرابع (سنـة ٣٢٨ هجرية، أو ٣٢٩ هجرية) انتهـت مرحلة الغَيْبَة الصغرى وانتهى دور السفارة، والنيابة الخاصة، وذلك بأمر الإمام المهدي عليه السلام، فمن ادعـى السفارة بعد عصر الغَيْبَة الصغرى، فهو «مفـترٍ كذَّاب» ملعون على لسان الإمام المهدي.

المرحلة الثانية : مرحلة الغَيْبَة الكبرى

بـدأت سنـة (٣٢٨ هجريـة، أو ٣٢٩ هجرية)، ولا زالت هـذه المرحلة مستمرة وقائمـة حتى الآن إلى أن يأذن الله تعـالى للإمام المهدي عليه السلام بالظهور؛ ليملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا.

المرحلة الثالثة: مرحلة الظهور وقيام الدولة الإسلامية العالمية بقيادة الإمام المهدي

نحن في هذه المرحلة.

أيهـا المؤمنون، إنَّنـا نعيش في ظل المرحلة الثانية من مراحـل حركة الإمام المهدي، وهي مرحلة الغَيْبَة الكبرى، ولهذه المرحلة مسؤولياتها ووظائفها.

فما هي هذه المسؤوليات والوظائف التي يجب علينا ونحن المنتمين إلى خط الانتظار أن نمارسها؟

ولا شـك أنـه على ضوء هـذه الممارسة والتطبيـق يتحدد مستوى الوعـي، ومستوى الإخلاص في التعاطي مع قضية الانتظار.

مسؤوليات المرحلة

المسؤوليـة الأولى: المسؤولية الإيمانية والعقائدية، وهـذه المسؤولية تفرض علينا أن نؤصّـل عقيدة الإمـام المهدي عليه السلام في داخلنـا، وأن نجذّر فينا الإيمـان بغَيْبة الإمام، وبظهوره، وبدولته، وكلما تأصّلت هذه العقيدة، وكلما تجذر هذا الإيمان، كانت علاقتنا بالإمـام المهدي عليه السلام أقوى وأعمـق وأصلب، جاء في الحديث عـن النَّبيِّ صلى الله عليه وآله: «مَن أنكر القائم من وِلدي في زمان غَيْبَته، فمات، فقد مات ميتة جاهلية».[١٥]

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «يأتي على الناس زمان يغيب عنهم إمامهم، فيا

١٥. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٤١٣.

طوبى للثابتين على أمرنا في ذلك الزمان».[١٦]

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «طوبى لمن تمسَّك بأمرنا في غَيْبَة قائمنا، فلم يزغ قلبه بعد الهداية».[١٧]

المسؤولية الثانية: مسؤولية الدفاع عن قضية الإمام المنتظر عليه السلام

قضية الإمام المهدي عليه السلام تعرضت - ولازالت - إلى عدة محاولات استهدفت مصادرتها، وإنهائها.

المحاولة الأولى: الإنكار أصل الفكرة، ونفي وجودها في الإسلام، والتشكيك في الروايات والأحاديث التي تناولت مسألة الإمام المهدي.

المحاولة الثانية: الإنكار لولادة الإمام المهدي، هذه المحاولة تتجه إلى نفي الولادة، وادِّعاء أن الإمام المهدي المبشَّر به في الأحاديث والروايات سوف يولد في آخر الزمان.

المحاولة الثالثة: وتتجه هذه المحاولة إلى تفريغ قضية الإمام المهدي من مضمونها الأصيل، ومن دلالاتها الكبيرة.

وهذه المحاولة تعتمد الفهم المغلوط لمسألة الانتظار، وقد كرَّس هذا الفهم حالة الشلل، والجمود، والركود في حركة الأمَّة.

وهنا تتحدد مسؤوليتنا الكبيرة في التصدي لكل محاولات المصادرة، والإلغاء، والتحريف لقضية الإمام المهدي عليه السلام، ويجب أن نوّظف كل إمكانياتنا الفكرية الثقافية للدفاع عن هذه القضية، وحماية مضمونها الأصيل أمام كل محاولات التحريف والتشويه والمصادرة.

---

١٦. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣٠.

١٧. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٥٨.

وهـذا التصـدي يفرض علينـا أن نعمّـق وعينـا وفهمنا وثقافتنـا بمسألـة الإمام المهدي عليه السلام.

المسؤولية الثالثة: الالتحام النفسي والروحي بالإمام المنتظر

لا يكفـي أن نرتبط بالإمـام المهدي عليه السلام فكريًّا وعقيدةً، بل يجـب أن نعيش حالة الانصهـار والذوبان الروحي والنفسي مع الإمام المهدي عليه السلام، وأن يكون الإمام المهدي حاضرًا في قلوبنا، في وجداننا، في مشاعرنا، في عواطفنا، في أحاديثنا، في لقاءاتنا، وفي كل وجودنا.

ومن الوسائل التي تعمق هذا الالتحام الروحي والنفسي والوجداني:

١- المواظبـة علـى قـراءة بعض الأدعيـة الواردة، كدعـاء (العهد) الـذي يستحب قراءتـه بعد صـلاة الفجر في كل صباح، فقد وردت الروايـة عن الإمام الصادق عليه السلام «أنـه قال: مَن دعـا إلى الله أربعين صباحًا بهذا العهد كان من أنصار قائمنا، فإنْ مات قَبْلَه أخرجه الله تعالى من قبره وأعطاه بكلِّ كلمة ألف حسنة ومحا عنه ألف سيئة».[١٨]

٢- المواظبة على زيارة الإمام الحجَّة في كل يوم.

٣- المواظبـة علـى أداء بعض العبادات والأعمـال المستحبة، وإهداؤهـا إلى الإمام المهدي عليه السلام.

ولا شـك أنَّ هذا الالتحام الروحي والنفسي والوجداني له تأثيراته وثمراته الكبيرة في حياتنـا، فهـو يجعلنا نعيش (الأمل) دائمًا، فمهما كانـت التحديات، والمحن والفتن، والإرهاصـات صعبة وقاسية، فإننـا نبقى نعيش الأمل والطمـوح والثقة، ما دمنا نعيش الإحساس بوجود القيادة المعصومة التي ترعى مسيرتنا، وترقب كل خطواتنا، وتتحسس كل آلامنا.

١٨. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٣ ص ٩٥.

ثـم إنَّ الارتباط الروحي والنفسـي بالإمام المهدي يملؤنا بالقـوة والعزيمة والثبات والصمود في مواجهة كل التحديات.

أيُّهـا الأحبَّـة، نحـن في عصر التحديـات الصعبة، وقـوى الاستكبـار في العالم قد استنفـرت كل إمكاناتها الثقافيـة، والإعلامية، والعسكرية، والأمنيـة؛ لمحاربة الإيمان والمؤمنـين، ولمحاصـرة الإسلام والمسلمين، قوى الردة والانحـراف والضلال ، وأحزاب الكفـر، وتيـارات العَلْمَنَـة كلها قـد اصطفت في مواجهـة خط الإيمان وخـط الالتزام، هنـا تكون الحاجة كبـيرة وكبيرة جدًّا أن نملك إرادة التَّحـدِّي، وإرادة الرفض، وإرادة الصمود والثبات في مواجهة حالات الانهزام، والتراجع، والسقوط واليأس، والإحباط.

انتماؤنـا إلى خط القيـادة المعصومة، قيـادة الإمام المهدي عليه السلام شـكَّل الضمانة لحمايـة مسيرتنا من التيـه والضياع والانحراف، وشكَّل الضمانـة لحماية مواقفنا من الاهتزاز والارتباك.

المسؤوليـة الرابعة: من أهم وأصعب مسؤولياتنا في عصـر الغَيْبَة هي انتظار ظهور الإمام المهدي، وقد أكدّت الروايات والأحاديث هذه المسؤولية:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أفضل العبادة انتظار الفَرَج».[١٩]

وقـال الإمام الباقر عليه السلام: «رحم الله عبدًا حبس نفسه علينا، رحم الله عبدًا أحيا أمرنا».

فقال له أحد أصحابه: فإن مت قبل أن أدرك القائم؟

فقـال عليه السلام: «القائـل منكـم: إن أدركـت القائم مـن آل محمـد صلى الله عليه وآله نصرته، كالمقارع معه بسيفه، والشهيد معه له شهادتان».[٢٠]

١٩. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٨٧.

٢٠. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ١٢٦.

وعـن أبي حمـزة الثمالي، عن أبي خالد الكابلي عن علـي بن الحسين عليه السلام، قال: «تمتد الغَيْبَة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله، والأئمة بعده.

يـا أبا خالد، إنَّ أهل زمان غَيْبَته والقائلين بإمامته، والمنتظرين لظهوره أفضل أهل كل زمان، لأنَّ الله (تعالى ذِكْرَه) أعطاهم من العقول والإفهام والمعرفة، ما صادرت به الغَيْبَـة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلـك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسـول الله صلى الله عليه وآله بالسيف، أولئك المخلصون حقًّا، وشيعتنـا صدقًا، والدعاة إلى دين الله سرًّا وجهرًا».[٢١]

معنى الانتظار، وشروطه

والسؤال الكبير المطروح هنا: ماذا يعني الانتظار؟

هل الانتظار مجرد الإكثار من الدعاء؛ لتعجيل الفَرَج؟

هـل الانتظار مجرد القيام، ووضع الأيدي على الرؤوس حينما يُذْكر القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله؟

هـل الانتظار هو مجرد التضـرع والبكاء حينما نقرأ دعـاء الندبة؟، وحينما نتوجه بالزيارة إلى الإمام الحجَّة عليه السلام؟

لا شك أنَّ هذه الأمور ضرورية، وهي تعمق علاقتنا الروحية بالإمام المنتظر، ولكنها لا تعنـي تمـام الانتظار، الانتظار الـذي هو أفضل العبـادة، الانتظار الـذي هو بمنزلة الجهاد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

فماذا يعني الانتظار؟

هـل الانتظار هـو اعتزال السَّاحة، والتَّخلِّـي عن المسؤوليَّـات الرسالية، والفعاليات

٢١. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ١٢٢.

الجهاديـة في عصـر الغَيْبَـة؟، هذا فهـم مغلوط وخاطـئ للانتظار، هـذا الفهم الذي عاش - ولا يزال يعيش - في بعض الذهنيات هو السبب في إصابتنا بالشلل والركود، هو السبب في انحسار أدوارنـا الاجتماعية والسياسية، هو السبب في هذا الغياب والضمور والانكماش.

وهنـاك فهـم منحرف وخطـير يتَّجه إلى تفسـير الانتظار بأنَّه العمـل على توفير الأجـواء الفاسدة؛ لتهيئـة الشرط الموضوعي لظهور الإمام وهـو امتلاء الأرض بالجور والظلم والفساد، فماذا يعني الانتظار إذًا؟

شروط الانتظار الحقيقي

لكي نكون من المنتظرين حقًّا يجب أن نتوفر على الشروط الآتية:

الشرط الأول: أن تعيش الترقب الدائم لظهور الإمام المهدي عليه السلام.

قد يقـال: لماذا هذا الترقب الدائم، وظهور الإمـام عليه السلام مرهون بعلامات معينة، هي التي تحدِّد وقت الظهور ؟

ونجيب على ذلك: إنَّ علامات الظهور على قسمين:

١- العلامات العامَّة.

٢- العلامات الخاصَّة.

أمـا العلامـات العامَّـة، فمؤشراتهـا واضحـة: الفـتن، وانتشـار الفسـاد، وتفاقم الانحرافات، وسيطرة الظالمين، وسفك الدماء، والحروب، ...، إلى آخر العلامات.

أمـا العلامـات الخاصَّـة، فهـي مقترنـة أو قريبة من ظهـور الإمـام عليه السلام، وهذه العلامات قد تفاجِئنا مفاجأة، لذلك ضرورة الترقب الدائم، والتوقع المستمر.

الشرط الثاني: الاستعداد الدائم.

وهذا الاستعداد يفرض علينا عدة أمور:

الأمـر الأول: أنْ نبنـي أنفسنا بنـاءً روحيًّا قويًّا، وأن نقـوِّي إيماننا، وعلاقاتنا بالله تعـالى، وإخلاصنـا للعقيـدة والمبـدأ، وأن نطهـر قلوبنا مـن الحقد والغش، ومن كلِّ التَّلوُّثات؛ لنكون بذلك مؤهَّلين لانتظار الإمام عليه السلام.

الأمـر الثاني: أن نعد أنفسنا فكريًّـا وثقافيًّا، فأنصار الإمام عليه السلام يملكون درجات عالية من البصيرة، والوعي، والفهم، والمعرفة، والرؤية، وهذا يفرض أن نمارس عملية التَّثقيـف الدائـم لأنفسنـا من خـلال اعتماد مختلف وسائـل الثقافـة والمعرفة؛ لنكون مؤهَّلين لانتظار الإمام عليه السلام.

الأمـر الثالث: أن نعد أنفسنا سلوكيًّا وعمليًّا، أن نعيش أعلى درجات التقوى والورع، والالتـزام، والاستقامة، والطاعـة الدائمة لله تعالى، فعن الإمـام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «مَن سرَّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظر، وليعمل بالورع، ومحاسن الأخلاق وهو منتظر».[٢٢]

فالمنتظرون نماذج عالية في التدين، والتَّقوى، والورع، والصلاح.

أنصـار الإمام المهدي عليه السلام - كما جاء في الروايات - هم الصلحاء النجباء، وهم العبـاد الخاشعـون لله تعالى، فقد ورد في بعض النصوص وهي تتحـدث عن أصحاب القائم عليه السلام: «رجال لا ينامون اللَّيل، لهم دويٌّ في صلاتهم كدويِّ النَّحل».[٢٣]

وفي نصٍّ آخر: «رهبان باللَّيل، ليوثٌ بالنهار».[٢٤]

الأمر الرَّابع: أن نعد أنفسنا رساليًّا وجهاديًّا.

---

٢٢. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٧.
٢٣. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٣٠٨.
٢٤. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٣٠٨.

أن نوظف قدراتنا الفكرية والنفسية والعملية في خدمة الإسلام، في الدعوة إلى الله تعالى، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن نكون النشطين في ممارسة الفعاليات الإسلامية والدينية، والاجتماعية والسياسية.

أن نكون القادرين على التصدي والمواجهة لكل القوى المعادية للإسلام، والدين، والإيمان، والقيم والفضيلة.

أن نملك الاستعداد للتضحية والشهادة في سبيل الله تعالى.

وكما تعلمون أن الإمام المهدي وأنصاره سوف يخوضون معارك جهادية صعبة مع القوى الكافرة في العالم المعبر عنها في الروايات (بالدَّجَّال)، ومع قوى الارتداد والانحراف في داخل الأمَّة وهي المعبَّر عنها في الروايات (بالسُّفياني).

فالذين يعيشون الطموح والشوق؛ للانضمام إلى جماعات الإمام المهدي عليه السلام الجهادية يجب أن يؤهلوا أنفسهم عمليًّا لهذه الأمَّة الخطيرة.

أمَّا الخائرون، الخائفون، اليائسون، الراكدون، المستسلمون، الخائنون، المنهزمون، المترفون، فهم ليسوا في خط الانتظار، فخط الانتظار هو خط الموقف، وخط التحدي، وخط المواجهة والثبات، والكلمة الجريئة، والعمل الرسالي، والدور الجهادي.

الشرط الثالث: الارتباط الفعلي بقيادة الإمام المنتظر.

ويتم هذا الارتباط في عصر الغَيْبَة من خلال الارتباط بالقيادة النائبة، الممثلة في (الفقهاء الصالحين المؤهَّلين).

الشرط الرابع: الإعداد والتهيئة والتوطئة لظهور الإمام المهدي عليه السلام.

وذلك من خلال:

أ. تهيئة الكفاءات المؤهلة للانتماء لحركة الإمام المنتظر، وهذه التهيئة لا تتم من

خلال الأجواء السرية المغلقة، وإنما في الأجواء العلنية المفتوحة، وذلك بالتوفر على العناصر الأساسية التي جاءت في الشرط الثاني، وكذلك التوفر على بقية الشروط.

ب. تهيئة الأرضية والقاعدة الصالحة؛ لدعم حركة الإمام المنتظر عليه السلام.

ت. تهيئة الأجواء الفكرية والنفسية؛ لاستقبال الإمام المنتظر عليه السلام.

ث. تهيئة الأجواء السّياسية؛ لظهور الإمام المهدي عليه السلام.

اللهـمَّ، إنَّـا نرغب إليـك في دولة كريمة تعز بهـا الإسلام وأهله، وتـذل بها النفاق وأهلـه، وتجعلنـا فيها من الدعـاة إلى طاعتك، والقـادة إلى سبيلـك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة.[٢٥]

الانتظار المشلول!

هذه المناسبة فرصة مهمة؛ لنحاسب من خلالها علاقتنا بالإمام المنتظر.

ما هو مستوى هذه العلاقة؟

ما هو مستوى حضور الإمام عندنا؟

١- الغياب.

٢- الحضور في العواطف والمشاعر.

٣- الحضور في الأدعية والأذكار.

٤- الحضور في السلوك.

٥- الحضور في الواقع الرسالي.

٦- الحضور في التهيؤ والاستعداد.

---

٢٥. التاريخ: ١٣ أغسطس ٢٠٠٨ م، الموافق: ١٥ شعبان ١٤٢٩هـ، المناسبة: مولد الحجة المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

تحدثت الروايات الكثيرة عن انتظار الإمام القائم من آل محمد صلى الله عليه وآله :

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «أفضل عبادة المؤمن انتظار فَرَج الله».[٢٦]

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «العارف منكم هذا الأمر، المنتظِر له، المحتسِب فيه الخير كمن جاهد والله مع قائم آل محمد صلى الله عليه وآله بسيفه.

ثم قال: بل والله كمن جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله بسيفه.

ثم قال الثالثة: بل والله كمَن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله في فسطاطه».[٢٧]

وعن مسعدة قال: «كنت عند الإمام الصادق عليه السلام إذ أتاه شيخ كبير، قد انحنى، متكئًا على عصاه، فسلَّم، فردَّ عليه أبو عبد الله الجواب.

ثم قال: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله ناولني يدك لأقبلها، فأعطاه، فقبَّلها، ثم بكى، ثم قال أبو عبد الله: ما يبكيك يا شيخ؟

فقال: جعلت فداك، أقمت على قائمكم منذ مائة سنة، أقول: هذا الشهر، وهذه السنة، وقد كبر سني، ورقَّ جِلدي، ودقَّ عظمي، واقترب أجلي، ولا أري فيكم ما أحب، أراكم مقتولين مشرَّدين، وأرى أعداءكم يطيرون بالأجنحة، وكيف لا أبكي؟

فدمعت عينا أبي عبد الله عليه السلام، ثم قال: يا شيخ، إنْ أبقاك الله حتى ترى قائمنا كنت في السنام الأعلى، وإنْ حلَّت بك المنية جئت يوم القيامة مع ثقل محمد صلى الله عليه وآله ونحن ثقله، فقال صلى الله عليه وآله : إني مخلِّف فيكم الثقلين، فتمسكوا بهما لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي.

فقال الشيخ: لا أبالي بعد ما سمعت هذا الخبر».[٢٨]

---

٢٦. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ١٣١.
٢٧. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٤ ص ٣٨.
٢٨. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٦ ص ٤٠٨.

إذًا، كـــان الانتظـار يملك هــذا المستـوى الكبير من القيمة في وعـي مدرسة أهل البيت عليهم السلام كما أكدت ذلك الروايات والأحاديث

كيف يمكن أنْ نمارس الانتظار؟

كثيرون يمارسون الانتظار بشكل مشلول!

والانتظار المشلول هو الانتظار الذي لا يملك قدرة إنتاج الحركة والفاعلية.

ولتوضيح الفكرة أكثر نحاول أن نستعين بالتطبيقات التالية:

التطبيق الأوَّل: الانتظار تمنيات وأشوق!

فهـل يمكن أن نفهـم الانتظار هو مجرد تمنيـات نفسية تتحـرك في داخل الإنسان الشيعي وهو يحترق شوقًا إلى لقاء الإمام المرتقَب؟

لا شكَّ أن هذا الشوق الصادق هو جزء الانتظار، بل هو الذي يعطي الانتظار طاقته وحرارته، ولكن التمنيات والأشواق وحدها لا تمثل الانتظار الحقيقي.

فهـل أن الخواطـر والمشاعر إذا بقيت راكدة ولم تتحـول إلى وعي، وحركة، وسلوك وعمل، وجهاد، وتضحية وعطاء تجسِّد معنى الانتظار؟

خواطـر ومشاعـر مشلولة على هـذا المستوى هل يمكن أن تجعـل صاحبها في عداد المنتظرين، والذين هم كمن جاهد مع قائم آل محمد صلى الله عليه وآله ؟، بل كمَن جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله ؟، بل كمَن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله في فسطاطه؟

من الغباء والحماقة أن نضع الكسالى الخاملين في عداد المجاهدين والمستشهدين.

الشـوق الحقيقـي إلى لقاء الإمـام المهدي عليه السلام يفرض الاستعـداد الحقيقي لهذا اللقاء، وماذا يعني الاستعداد للقاء الإمام عليه السلام.

ماذا يريد منَّا الإمام عليه السلام حينما يظهر؟

ما هي مسؤولياتنا حينما يظهر الإمام عليه السلام؟

هذه المسؤوليات هي التي تحدد شكل الاستعدادات.

المسؤوليات على ثلاثة مستويات

المستوى الأوَّل: مستوى الكفاءات القيادية.

وهؤلاء يملكون أعلى المؤهلات والكفاءات.

المستوى الثاني: مستوى الجنود المقاتِلين.

وهؤلاء يملكون كفاءة عالية لأن يكونوا جنودًا للإمام.

المستوى الثالث: القاعدة التي تساند حركة الإمام عليه السلام.

وهـؤلاء - أيضًـا - يجب أن يتوافروا على مؤهلات كافيـة تجعلهم يشكلون القاعدة الصالحة.

والخلاصة

إنَّ العواطف مهما تصاعدت لا تشكل انتظارًا إذا لم تتحول إلى استعدادات حقيقية ليوم الظهور.

التطبيق الثاني: الانتظار هو دعاء وأوراد!

طائفـة كبيرة من النـاس يفهمون الانتظار، ويعيشون الانتظـار من خلال (الأذكار والأدعية والزيارات).

لا إشكال في أن الأذكار والأدعية تمثل بعدًا مهمًّا من أبعاد التعاطي مع قضية الإمام المنتظَـر ولهـا دور - حينما تمارس بوعي واخلاص - في خلق حالـة الانصهار الروحي والوجداني مع الإمام المنتظر عليه السلام.

وقـد ورد التأكيـد على مجموعـة أدعية (العهـد، الندبة، الدعاء بتعجيـل الفَرَج)، كمـا أن زيارة الإمام الحجَّة لها دورها الكبير في تأصيل الارتباط بالإمام عليه السلام حينما تُمارس بوعي، وبصيرة، وصدق.

إلا أن الأذكار والأدعية والزيارات وحدَها لا تشكل الانتظار الحقيقي.

إنها تهيئ الأجواء النفسية للانتظار بشرط أن تمارس بوعي وصدق.

الإمام الخميني رضي الله عنه كان ملتزمًا بقراءة دعاء العهد.

الشهيد السَّيِّد الصَّدر كان يعي معنى الدعاء والانتظار.

الاستشهاديون من أبناء حزب لله كانوا يفهمون معنى الانتظار.

الانتظـار الروحي البحت الذي لا يهيِّئنا على مستوى الاستعداد الحقيقي؛ لاستقبال الإمام عليه السلام وفق المستويات السابقة (الكفاءات - القيادة - الجنود - القاعدة).

هـذا الانتظـار الروحـي البحـت يسجننـا في أجـواء مغلقة جـدًّا، كما هـي أجواء المتصوِّفـين في حلقاتهم المخنوقة، فـلا تتنفس من خلالها إلا تمتمـات وانفعالات، وقد يتصاعد الوجد والهيام عندنا إلى حد الصراخ والعويل.

وماذا وراء ذلك؟!، لا شيء، فنبقى نمارس الانتظار ضمن هذه المساحة من الأذكار والأدعية، وضمن هذه الدوائر المغلوقة التي تعبر عن أجواء التنفيس، أو تعبر عن آهات الوجد.

صحيـح جدًّا لـو أن الدُّعاء والذِّكر أصبحـا جزءًا من صيغة كاملـة للانتظار، عند

ذلك سوف يؤدي (الدُّعاء والذِّكر) دورهما الفاعل في إنتاج (حركة الانتظار)، وعندها يصبح (الدُّعاء والذِّكر) ضرورة لخلق استعدادات الانتظار.

وكذلك (الزيارة)، وهي تعبير عن الحب المشدود إلى الإمام المنظر، إذا أصبحت جزءًا من مشروع الانتظار، فسوف تساهم في صنع «الاستعداد والتهيؤ» لظهور الإمام عليه السلام، إلا أنَّ الانتظار المشلول صاغ من الزيارة أداة جامدة حولت المنتظرين إلى مجموعة من الناس يعيشون الاسترخاء في أحضان الكلمات.

فالزيارة إذا لم تنتج انتماءً صادقًا يتجسد في واقع متحرك في خط الانتظار الواعي، فإنها تشكل وسيلة؛ لاستهلاك العواطف والمشاعر، وربما حاول الذين يستهدفون الشَّلل في حركة الأمَّة تنشيط الفهم البليد لمسألة الانتظار من خلال تفريخ هذه الممارسات (الدُّعاء، الذِّكر، الزيارة) من مضامينها الأصيلة، ودلالاتها الفاعلة.

التطبيق الثَّالث: الانتظار هو الجمود والاعتزال!

هناك من يفهم الانتظار بأنه تعطيل المسؤوليات الرسالية والتغييرية في عصر غَيْبَة الإمام المهدي عليه السلام، وتجميد مهمة الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واعتزال كل الفعاليات الاجتماعية والثقافية والسياسية والجهادية، وارجاء ذلك إلى مرحلة الظهور.

وقد تطور هذا الفهم الخاطئ جدًّا عند البعض إلى اتجاه انحرافي خطير يصوغ رؤيته على أساس أن الشرط الموضوعي لظهور الإمام المهدي عليه السلام هو امتلاء الأرض بالمفاسد والانحرافات والمظالم - كما نصت على ذلك الروايات والأحاديث-، فأي محاولة تتحرك لإنعاش الواقع الانحرافي تشكل مساهمة جادَّة في توفير الشرط الموضوعي للظهور.

ولنا حول هذا الفهم الخطير مجموعة ملاحظات:

الملاحظة الأولى: هذه التصورات الخاطئة، أو المنحرفة أعطت المبرر لأولئك المشككين والرافضين لقضية الإمام المنتظر.

وإن كان هذا اللون من التشكيك فيه مغالطة منهجية.

الملاحظة الثانية: هذا اللون من الفهم للانتظار يعبر عن جهل فاضح:

أ- بالإسلام وأحكام الإسلام.

ب- بقضية الإمام المنتظر.

ج- بمسؤولية الإنسان المسلم.

الملاحظة الثالثة: هذا الفهم المنحرف للانتظار قد تغذيه بعض الاتجاهات المعادية للإسلام.

ولا شك أن القوى المناهضة للإسلام لا تريد للأمَّة أن تعيش النهوض السياسي، والنهوض الثقافي، والنهوض الاجتماعي.

فمن الخطر على هذه القوى والتيارات أن يتنامى الوعي الإسلامي الأصيل عند جماهير الأمَّة، لأن ذلك يعني أن يكون للإسلام حضوره السياسي والثقافي والاجتماعي، وهذا ينتج انحسارًا لتلك القوى المناهضة.

فمن مصلحة تلك القوى أن ينخفض وعي الجماهير، وتتجمد حركتها، ولذلك فهي تحاول أن تغذِّي الفهم المتخلف والفهم المنحرف، لأنَّها بذلك تحقق هدفين كبيرين:

الهدف الأول: الإساءة إلى مفاهيم الإسلام، وأفكاره.

الهدف الثاني: تحجيم دور الإسلام، وتجميد فعاليته، ف:

أ- فيجب على جماهيرنا أن تملك الوعي والبصيرة؛ لكي تواجه محاولات الاختراق الثقافي والاجتماعي والسياسي.

ب- مسؤولية العلماء والدعاة والمبلغين والمثقفين الإسلاميين في صياغة هذا الوعي، وحماية واقع الأمَّة ضد محاولات الاختراق.

الملاحظة الرابعة: هذا الفهم المنحرف يساهم في تعطيل أخطر التكاليف الإسلامية، وهي:

أ- الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ب- العمل من أجل تحكيم الإسلام.

ج- إفساح المجال للأفكار والمبادئ والقوانين اللا إسلاميَّة أن تهيمن على واقع المسلمين.[٢٩]

٢٩. التاريخ: ٢٢ يونيو ٢٠٠٦ م، الموافق: ١٨ شعبان ١٤٢٣هـ، المناسبة: مولد الإمام المهدي عجل الله فرجه، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول، حديث الجمعة: ١٩، محاسبة علاقتنا بالإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه.

الفصل الرَّابع

السَّفارة والنِّيابة الخاصَّة

الباب الأوّل

التَّوقيع الأخير

للإمام المهدي غَيْبَتان:

١- الغَيْبَة الصغرى بدأت سنة ٢٦٠ هـ، وانتهت سنة ٣٢٩ هـ.

مدة الغَيْبَة الصغرى: ٧٠ سنة تقريبًا.

٢- الغَيْبَة الكبرى بدأت سنة ٣٢٩ هـ بوفاة السفير الرابع علي بن محمد السمري.

قبل وفاة السفير الرابع بأيام صدر توقيعٌ من الإمام المهدي إلى علي بن محمد السمري جاء فيه - كما جاء في كتاب الغَيْبَة للشيخ الطوسي -.

التَّوقيعات: ما يصدر عن الإمام المهدي بواسطة أحد السفراء، أو النواب جوابًا على أسئلة، أو توجيهًا للشيعة، أو أوامر تحدّد بعض المواقف.

نص التَّوقيع

نص التَّوقيع الأخير الذي صدر إلى علي بن محمد السمري - آخر السُّفراء -: «بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي بن محمد السمري، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميّت ما بينك وبيني ستة أيام، فأجمع أمرك، ولا توصِ إلى أحدٍ، فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغَيْبَة التَّامَّة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله - تعالى ذِكْرُه -، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جورًا، وسيأتي لشيعتي مَن يَدَّعي المشاهدة، ألا فمن ادَّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة، فهو كذَّابٌ مفترٍ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».[١]

١. الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٩٥.

وقفة تأمُّل

وهنا وقفة تأمُّل وتدبُّر في هذا التوقيع الشريف من خلال النقاط التالية:

النقطة الأولى: علم الغيب

قد يتساءل البعض، هل يدّعي الشيعة أنّ أئمّتهم يعلمون الغَيْب، حيث نقرأ في هذا التوقيع أنَّ الإمام المهدي قد أخبر علي بن محمد السمري بيوم وفاته: «فإنَّك ميّت ما بينك وبيني ستّة أيامٍ ...»؟

الجواب: إنَّنا نعتقد أنّ الله تعالى وحدَه هو (عالم الغَيب)، لا يشاركه أحدٌ من خلقه حتى الأنبياء والأوصياء.

القرآن الكريم مشحونٌ بالآيات التي تؤكِّد أنّ الله سبحانه هو (عالم الغَيب) كـ:

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.[٢]

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ للهِ فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾.[٣]

﴿وَللهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.[٤]

﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.[٥]

﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[٦]

---

٢. الأنعام:٥٩.
٣. يونس:٢٠
٤. هود:١٢٣.
٥. الحشر:٢٢.
٦. الجمعة:٨.

والكثير الكثير من الآيات القرآنيّة التي تؤكّد هذا المعنى، إلى جانب ذلك توجد آياتٌ تنفي الغَيْب عن غير الله تعالى، مثل:

﴿قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾.(٧)

الخطاب هنا إلى سيد الأنبياء والمرسلين محمدٍ صلى الله عليه وآله ﴿قُل﴾ لهم يا محمد ﴿لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ﴾، أي خزائن رحمة الله، ومقدّراته، وأرزاقه، ﴿وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ الذي يختصّ الله بعلمه، وإنّما أعلم قدر ما يعلّمني الله تعالى من أمور الغَيب.

وفي نص آخر يقول الله على لسان النَّبيِّ الأعظم صلى الله عليه وآله: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلَّا مَا شَاء اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.(٨)

نعم، هناك آياتٌ تشير إلى أنّ الله تعالى يُطلع بعض أنبيائه، وأوصيائه، وأوليائه على بعض الغَيْب إذا اقتضت المصلحة الربانيّة ذلك:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ❖ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ❖ لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾.(٩)

وقال تعالى مخاطبًا نبيَّه صلى الله عليه وآله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.(١٠)

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.(١١)

---

٧. الأنعام: ٥٠.
٨. الأعراف: ١٨٨.
٩. الجن: ٢٦-٢٨.
١٠. هود: ٤٩.
١١. آل عمران: ٤٤.

بعـد هذا إنْ قلنا بصدور شيءٍ من المغيَّبات عن الأنبياء أو الأولياء إنَّما ذلك بتعليمٍ وإيحاءٍ من الله سبحانه المتفرّد بعلم الغَيْب.[١٢]

النقطة الثانية: انتهاء عهد السفارة بانتهاء الغَيْبَة الصُّغرى

لا زلنـا مع التوقيع الصادر عن الإمام المهدي عليه السلام، والذي أعلن فيه انتهاء الغَيْبَة الصغـرى، وبـدْء الغَيْبَة الكبرى، وذلـك في سنة ٣٢٩هـ، السنة التي مـات فيها السفير الرابع علي بن محمد السمري، وهكذا انتهت النيابة الخاصة - السفارة -، «فلا يدَّعيها إلَّا مفـترٍ كـذَّاب» - حسـب ما جاء في التوقيـع - حيث يقول الإمـام عليه السلام: «فقد وقعت الغَيْبة التامّة، فلا ظهور إلَّا بعد إذن الله (تعالى ذِكْرُه) بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جورًا، وسيأتي شيعتي مَن يدَّعي المشاهدة، ألا فمَن ادَّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصّيحة، فهو كذَّاب مفترٍ، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم».

هذا المقطع من التوقيع الشريف يتناول مجموعة نقاط مهمَّة جدًّا، يجب أن يستوعبها أتباع مدرسة الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام، والقائلين بإمامة الإمام المهدي عليه السلام الثاني عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام.

هـذه النقـاط المهمّة هي: انتهاء الغَيْبَة الصغرى، وبـدْء الغَيْبَة الكبرى - كما ذكرنا قبل قليل -، وبهذا تنتقل الشيعة إلى مرحلةٍ أكثر تعقيدًا، وأكثر صعوبة.

مراحل العلاقة بين الأئمَّة والشيعة

لقد مرَّ الشيعة في علاقتهم بأئمَّتهم عليهم السلام بثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: الحضور

مرحلـة حضور ووجود الإمام بينهم، يتواصلون معه، ويتشرّفون بلقائه، والاستفادة من علومه، وتوجيهاته.

---

١٢. التاريخ: ١٠ أبريل ٢٠٠٩ م، الموافق: ١٤ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ١٩٥، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

وفي هذه المرحلة عاش الأئمّة حالتين:

الحالة الأولى: - ولم تتوفّر إلّا للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في فترةٍ تاريخيّةٍ محدودة -، هذه الحالة التصدّي للسُّلطة، والحكم، وتسلّم الخلافة.

الحالة الثانية: وقد عاشها جميع الأئمّة عليهم السلام، وهي حالة الإقصاء عن موقع السُّلطة، والحكم، والخلافة.

عقيدتنا أنَّ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام لهم ثلاث صلاحيات:

أ- صلاحية الإمامة السّياسية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ب- صلاحية الإمامة الفكريَّة والفقهيَّة.

ج- صلاحية الإمامة الروحيَّة والاجتماعيَّة.

فالصلاحية الأولى: لم يتمكن الأئمّة من ممارستها، باستثناء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مدّة زمنيّة محدّدة.

والصلاحية الثانية: مارسها الأئمّة عليهم السلام، وإنْ كان النظام الحاكم قد صادر هذه الصَّلاحية، وأوجد لها بدائل، فيبقى الأئمة يشكلون مرجعية فكرية وفقهية لأتباع مدرستهم.

والصلاحية الثالثة: احتفظ بها الأئمّة من أهل البيت، رغم محاولات الأنظمة مصادرتها، وبقي الأئمة قدوة روحيّة متميّزة لكلّ المسلمين، وبقي الأئمّة نماذج لا تضاهى عند الناس جميعًا.

نقرأ في التاريخ هذه الحادثة التي تؤكد الموقع الروحي والاجتماعي الذي يحظى به الأئمّة في نفوس المسلمين، حينما حج هشام بن عبد الملك، وطاف، وأراد أن يستلم الحجر الأسود، فلم يقدر على استلامه من الزحام، فنصب له منبر، فجلس عليه ينتظر، ثم أقبل الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، فأخذ يطوف، فكان

إذا بلـغ موضع الحجر انفرجت الجماهـير، وتنحى الناس حتى يستلمه لعظم معرفتهم بقدره ومكانته على اختلاف بلدانهم وانشعاباتهم.

فأثـار ذلك استغـراب حاشية هشام بن عبـد الملك، فتوجهوا لـه بالسؤال عن هذا الشخصـ الذي حظي بكلّ هذا التقدير بما لا يحظى به هشام، فتجاهل هشام، وقال لا أعرفه.

وهنا سجل الفرزدق الشاعر المشهور موقفه الجريئ من خلال قصيدته المعروفة:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرم

إلى آخر القصيدة.[١٣]

المرحلة الثانية: الغياب الجزئي

مرحلـة غياب الإمـام غيابًا ليس تامًّا كما حدث للإمام المهـدي عليه السلام أثناء الغَيْبَة الصغرى، والتي استمرت ما يقرب من سبعين سنة.

وكانـت العلاقـة بين الإمـام وشيعته تتمُّ بواسطـة سفراء خاصـين معينين من قبل الإمـام نفسه، فمن خـلال هؤلاء السفراء والنواب المعيَّنين تصـدر الأوامر والتوجيهات والإجابات عن الاستفتاءات والتساؤلات.

وفي هـذه المرحلـة حدثت دعـاوى كاذبة للسفـارة والنيابة، ولكنَّها بـاءت بالفشل، وافتضح أصحابها شرّ افتضاح، فالقاعدة الشيعيَّة كانت محصّنة كلّ التحصين، وتملك كفاءاتٍ علميَّة كبيرة ومتميّزة، فما كان من السهل اختراقها وخداعها.

مـن الظرائـف في هذا المقام: إنَّ الحسـين بن منصور الحلَّاج - أحـد الذين أدعو النيابة كذبًا وزورًا، فأراد الله تعالى أن يفضحه ويخزيه - كتب - أي الحلَّاج - إلى أبي سهـل النوبختي من شيـوخ الشيعة المعروفين، وكان عالمًا كبيرًا جليلًا، كتب إليه يذكر له

١٣. الأنوار البهية - الشيخ عباس القمي - ص ١٢٣.

مزاعمه في السفارة ...، فكتب له أبو سهل - ما مضمونه -: إنّي على استعداد أن أصدِّق دعـواك، ولكنِّـي أطلب منك شيئًا واحـدًا وهو أنّي متورط بكـثرة الشيب في رأسي، وقد أعجزني استعمال الخضاب، وافتضحت مع نسائي!

فيـا صاحـب الدلائل والبراهـين، اجعل لحيتـي سوداء، فـإنِّي طوع يديـك، وقائلٌ بقولـك، وعندهـا افتضح الحلاج، وصيره أبـو سهل النوبختي أضحوكـة وأحدوثة على ألسن النّاس.[١٤]

وهكذا يفتضح دائمًا أصحاب الدعاوى الكاذبة.[١٥]

١٤. القصة مذكورة في كتاب الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٠٢.

١٥. التاريخ: ٣٠ أبريل ٢٠٠٩ م، الموافق: ٥ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ١٩٨، المكان: مسجد الإمام الصّادق عليه السلام بالقفول.

الباب الثّاني

دعاوى السَّفارة

جاء في التوقيع الصادر عن الإمام المهدي عليه السلام: «وسيأتي شيعتي مَن يدَّعي المشاهدة ألَا فمَن ادَّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة، فهو كذّابٌ مفترٍ».

ولكي نحدِّد معنى المشاهدة في هذا التوقيع نحاول أن نطرح هذا السؤال؟

هل يمكن اللقاء مع الإمام المهدي عليه السلام في عصر الغَيْبَة الكبرى؟

وهنا يجب أن نتعرَّف عن معنى الغَيْبَة الكبرى، وكيف هي.

معنى الغَيْبَة الكبرى

حينما نقرأ الأخبار الواردة حول الغَيْبَة يمكن أن نصنِّفها إلى ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: الأخبار التي تحدَّثت عن الغَيْبَة بشكلٍ مطلق.

وتمثّل هذه الطائفة النسبة الأكبر من الأخبار.

- قال الإمام الصّادق عليه السلام: «إنْ بلغكم عن صاحبكم غَيْبَة، فلا تنكروها».[١٦]
- وقال الإمام الصّادق عليه السلام: «إنَّ للقائم غَيْبَة قبل أن يقوم».[١٧]
- وعن الإمام الصّادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «المهدي من وِلدي اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلْقا وخُلُقًا، تكون له غَيْبَة وحيرة حتى تضلَّ الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يُقبل كالشِّهاب

١٦. الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ١٦١.

١٧. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٩٨.

الثاقب، فيملأها قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا».[١٨]

- وقال الإمام الصَّادق عليه السلام: «يأتي على الناس زمانٌ يغيب عنهم إمامهم».[١٩]

- وفي حديثٍ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «التاسع من وِلد ابني الحسين الذي يظهر بعد غَيْبَته الطويلة، فيعلن أمر الله، ويظهر دين الله، وينتقم من أعداء الله، ويملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت ظلمًا وجورًا».[٢٠]

- وقال الإمام العسكريُّ عليه السلام: «إنَّ الإمام وحجَّة الله من بعدي ابني سَمِيّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وكنيه - إلى أن قال -: إلَّا أنّه سيولد فيغيب عن الناس غَيْبَة طويلة، ثم يظهر».[٢١]

الطائفة الثانية: الأخبار التي تحدّثت عن اختفاء شخص الإمام المهدي عليه السلام عن الأنظار، فهو يرى النّاس، ولا يرونه.

- قال الإمام الصَّادق عليه السلام: «يفقد النّاس إمامهم، يشهد الموسم، فيراهم، ولا يرونه».[٢٢]

- وفي حديثٍ آخر: «للقائم غَيْبَتان، يشهد في إحداهما المواسم يرى النّاس، ولا يرونه».[٢٣]

---

١٨. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق- ص ٢٨٧.

١٩. المصدر نفسه: ص ٣٥٠.

٢٠. «التاسع منهم قائم أهل بيتي، ومهدي أمتي، أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله يظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مضلة، فيعلن أمر الله، ويظهر دين الله عز وجل، يؤيد بنصر الله، وينصر بملائكة الله، فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا». كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٥٨.

٢١. نقله المحدث الحر العاملي عن (إثبات الرجعة) في إثبات الهداة ٣: ٥٦٩ و٦٨٠، ونقله المحدث النوري عن (الغيبة) في مستدرك الوسائل ١٢ : ٢٨٠ / ٣ (مجلة تراثنا - مؤسسة آل البيت - ج ١٥ ص ٢١١- برنامج مكتبة أهل البيت عليهم السلام).

٢٢. الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ ص ٣٣٨.

٢٣. المصدر نفسه: ج ١ ص ٣٣٩.

- وفي حديثٍ ثالث: «إذا فقدتم إمامكم، فلم تروه فماذا تصنعون؟»[٢٤]
- وفي حديثٍ رابع: «للقائم منَّا غَيْبَة أمدها طويل» - إلى أن قال -: «إنَّ القائم منَّا إذا قام لم يكن لأحدٍ في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته، ويغيب شخصه».[٢٥]
- وفي حديث خامس: «يغِيب عن أبصار النّاس شخصه، ولا يغيب عن قلوب المؤمنين ذِكْرُه».[٢٦]

هذه الأخبار وأمثالها وإن كانت مناقشة سندًا، فهي تؤكِّد أنَّ الإمام لا يُرى في عصر الغَيْبَة.

ويحتمل أن يراد بعدم رؤيته عدم معرفته، كما تؤكِّد الطائفة الثالثة التالية.

الطائفة الثالثة: الأخبار التي تحدّثت عن خفاء العنوان هنا - في هذه الأخبار - لا يختفي شخص الإمام المهدي، بل يراه النّاس إلَّا أنّهم لا يعرفونه.

أمَّا لماذا لا يعرفونه؟

هل بواسطة الإعجاز الإلهي؟

أم أنَّ ذلك ناشئ من تقادم الزمان بالإمام؟

أم لكونه غير مستقرٍّ في منطقة واحدة؟

هذا النمط من الأخبار تفترض أنّ الإمام المهدي عليه السلام يعيش مع النّاس، ويتحرَّك في أوساطهم، ويرونه دون أن يعرف أحدٌ حقيقته، وأنَّه الإمام المهدي عليه السلام، إلَّا في حالات استثنائيَّة تفرضها المصلحة، وفي حاجةٍ إلى إثباتاتٍ قطعيَّة.

---

٢٤. الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ١٦٠.

٢٥. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٠٣.

٢٦. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٦٨.

من الأخبار التي تؤكّد هذا المعنى:

- عن محمد بن عثمان العمري - السفير الثاني من سفراء الإمام المهدي عليه السلام -: «والله، إنَّ صاحب هذا الأمر ليحضر الموسم كلَّ سنة، يرى النّاس، ويعرفهم، ويرونه، ولا يعرفونه».[٢٧]

- وفي خبر آخر وهو يتحدَّث عن الإمام المهدي: «يجعل الله بينه وبين الخلق حجابًا يرونه ولا يعرفونه».[٢٨]

الخلاصة

الطائفة الأولى: وهي التي تملك الرصيد الأكبر من الأخبار، تحدَّثت عن الغَيْبَة بشكلٍ مطلق.

والطائفة الثانية: تحدَّثت عن اختفاء شخص الإمام عن الأنظار، فهو يرى النّاس ولا يرونه.

والطائفة الثالثة: تحدَّثت عن (خفاء العنوان) فالناس يرون الإمام، إلَّا أنّهم لا يعرفونه.

فكيف نتصور اللقاء مع الإمام في ضوء هذه الطوائف من الأخبار؟![٢٩]

ادِّعاء السَّفارة

مدَّعي السفارة والنيابة الخاصَّة في الغَيْبَة الكبرى هو «مفترٍ كذَّاب»:

قلنا: إنَّ الإمام المهدي غاب غَيْبَته الكبرى سنة ٣٢٩هـ، وبغَيْبَتِه انتهت السفارة والنيابة الخاصة، فلا يدَّعيها إلَّا مفترٍ كذَّاب، هذا ما أجمع عليه علماء الشيعة الإماميَّة

---

٢٧. الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٦٤

٢٨. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٥١.

٢٩. التاريخ: ٩ مايو ٢٠٠٩ م، الموافق: ١١ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ١٩٩، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

منذ بداية الغَيْبَة الكبرى حتى الآن.

لم يدَّعِها أحد من علمائنا المعتمدين.

فلم يسجل لنا التاريخ أنَّ أحدًا من الفقهاء الأجلَّاء المعتمدين ادَّعى السفارة والنيابة، هذا التاريخ بين أيدينا، فهل قرأنا، أو سمعنا أنَّ فقيهًا معروفًا معتمدًا ادَّعى ذلك؟

وقد شهد التاريخ الشيعي أعدادًا كبيرة جدًّا من الفقهاء العظماء الأجلَّاء المشهورين، فما حدَّث أحدهم نفسه أن يدِّعي السفارة والنيابة الخاصة.

وبعضهم قريبًا جدًّا من عصر الغَيْبَة الصغرى.

لنأخذ مثلًا: الشيخ الصدوق، مؤلِّف كتاب (مَن لا يحضره الفقيه) أحد الكتب الأربعة الأساسية عند الشيعة، وهي[٣٠]:

أ- الكافي للشيخ الكليني (عاصر الغَيْبَة الصغرى).

ب- مَن لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق.

ج- التَّهذيب، للشيخ الطوسي.

د- الاستبصار، للشيخ الطوسي.

فالشيخ الصدوق أحد أعلام الطائفة الكبار، بلغت مصنَّفاته ثلاثمائة مصنّف، ولد سنة ٣٠٦هـ أي أدرك من الغَيْبَة الصغرى ما يقرب من ١٢ سنة، وتوفي سنة (٣٨١هـ)، أي أدرك من بداية الغَيْبَة الكبرى ما يقرب من اثني وخمسين سنة.

ومن الأخبار الثابتة والصحيحة والمشهورة أنَّ الشيخ الصدوق وُلد بدعاء الإمام الحجَّة عليه السلام، ذَكَر الشيخ الطوسي في كتاب الغَيْبَة أنَّ علي بن الحسين بن بابويه والد

٣٠. أي: الكتب الأربعة الأساس عند الشيعة.

الصـدوق - وهو من أعاظم فقهاء الشيعة، وقد عاصر الغَيْبَة الصغرى - لم يرزق ولد، فكتب إلى الحسين بن روح النوبختي السفير الثالث أن يسأل الإمام الحجّة أن يدعو الله أن يرزقه أولادًا فقهاء، فجاء الجواب: إنّك سترزق «ولدين فقيهين».[٣١]

وفعـلًا رُزق ولـدان فقيهان محمـد والحسين (الصـدوق، وأخوه الحسـين)، وكانا يفتخران بأنّهما ولدا بدعاء الحجّة.

هـذا الرجـل الفقيه العظيـم لم يدّعِ السفـارة والنيابة رغم اشتهـاره وجلالة قدره ومكانته الكبيرة في الطائفة.

وهكـذا جميع فقهاء الطائفة الأجلّاء الكبار أمثال: الشيخ المفيد، والسيد المرتضى، والشيخ الطوسي، وامتدادًا إلى الفقهاء المتأخرين.

وقد عاصرنا بعضًا منهم كالسيد الحكيم، والسيد الخوئي، والسيد الإمام الخميني، والسّيد الصدر، ولم نسمع أنّ أحدهم ادَّعى السفارة أو النيابة.

هذا هو تاريخ الفقهاء والعلماء الأخيار الصالحين.

أدعياء السَّفارة ليسوا شيئًا في الطائفة

وفي المقابـل نقرأ في التاريخ عـن أدعياء للسفارة لا يملكـون أيّ رصيدٍ في الطائفة،

---

٣١. قال ابن نوح: وحدثني أبو عبد الله الحسين محمد بن سورة القمي رحمه الله حين قدم علينا حاجًا، قال حدثني علي بن الحسن بـن يوسـف الصائـغ القمي، ومحمد بن أحمد بـن محمد الصيرفي المعروف بابن الدلال وغيرهما مـن مشايخ أهل قم: إنَّ علي بـن الحسـين بـن موسـى بن بابويه كانت تحته بنت عمه محمد بن موسى بن بابويه، فلم يرزق منها ولدًا، فكتب إلى الشيخ أبي القاسـم الحسـين بـن روح رضي الله عنه أنْ يسأل الحضرة أن يدعو الله أن يرزقـه أولادًا فقهاء، فجاء الجواب: «إنَّك لا ترزق من هذه، وستملك جارية ديلمية، وترزق منها ولدين فقيهين».

قال: وقال لي أبو عبد الله بن سورة (حفظه الله): ولأبي الحسن بن بابويه رحمه الله ثلاثة أولاد، محمد والحسين فقيهان ماهران في الحفـظ، ويحفظـان مـا لا يحفـظ غيرهما مـن أهل قم، ولهمـا أخ اسمه الحسـن وهو الأوسـط مشتغل بالعبـادة والزهد، لا يختلط بالناس، ولا فقه له.

قـال ابـن سـورة: كلما روى أبو جعفر، وأبو عبد الله ابنا علي بن الحسين شيئًا يتعجب الناس من حفظهما، ويقولون لهما: هذا الشأن خصوصية لكما بدعوة الإمام لكما، وهذا أمر مستفيض في أهل قم.

وهم شخصياتٌ ساقطةٌ منبوذةٌ ومرفوضةٌ.

وربما استطاعوا أن يضلّوا بعض المغفّلين والأغبياء والجهّال من النّاس.

وربما كوَّنوا لهم كياناتٍ زائفة، وتنظيماتٍ مشبوهة.

وربما تحوَّلوا إلى مذاهب.

وأنا هنا أتحدّث عن أدعياء السفارة - ولا أتحدّث عن أدعياء المهدويّة، والذين لنا معهم حديثٌ آخر - وكثيرًا ما تحوَّل أدعياء سفارة إلى أدعياء مهدويّة، بل أدعياء نُبوَّة، وقد يصل الأمر إلى أدعاء ألوهيَّة!

المذهب البابي والبهائي في إيران بدأ بادّعاء شخصٍ أنَّه الباب للإمام المهدي - النائب والسفير -، ثمّ انتقل إلى مرحلةٍ أخرى، فادَّعى أنّه الإمام المهدي، ثمّ انتقل إلى مرحلةٍ ثالثةٍ فادَّعى أنَّه نبيٌّ، وقد أُنزل عليه كتاب، وأخيرًا ادَّعى الأُلوهيَّة!

من هنا نفهم لماذا تشدّد التوقيع الصادر عن الإمام المهدي في تحذير الشيعة من الركون إلى هؤلاء الأدعياء (أدعياء النيابة والسفارة).

الخطوات التي يعتمدها هؤلاء الأدعياء

أولًا: يتظاهرون بمظاهر الأولياء والصالحين والعبَّاد والزُّهاد، ويمارسون بعض الأوراد والأذكار؛ ليخدعوا بذلك السُّذَّج والبسطاء والمغفَّلين.

وربما استعملوا الشعوذة والسحر وادِّعاء المكاشفات والمشاهدات، وكثيرًا ما يتحدَّثون عن الرؤى والمنامات، كما يهتمون ببعض العلوم الغريبة كعلم الحروف، والعزائم، وتسخير الأرواح والجن، والرياضات النفسيَّة، وبعض قضايا العرفان، وهكذا يهيِّئون الأرضيَّة لخطواتٍ لاحقة.

ثانيًا: دعاوى التشرّف بلقاء الإمام المهدي عن طريق المنامات، وهنا يدخلون إلى عقول البسطاء من عشّاق الإمام المهدي.

إنَّ الأحلام والمنامات أحد وسائلهم؛ لاجتذاب الناس وخاصةً النساء، وتستمرُّ هذه الرؤى والمنامات الكاذبة، وتُروَّج وتُنشر، فينخدع بها مَن لا يملك بصيرة بالدِّين، ويتأثَّر بها السذَّج والأغبياء، وربما سقط في تأثيراتها بعض المتعلِّمين الغافلين عن الدوافع والأهداف والأغراض المشبوهة، وهكذا يتمكَّن أولئك الأدعياء من بعض القلوب الجاهلة والغافلة والمخدوعة.

ثالثًا: تتحوّل اللقاءات المكذوبة مع الإمام المهدي عليه السلام من لقاءاتٍ عبر الرؤى والمنامات إلى لقاءاتٍ مباشرةٍ، وتبدأ هذه اللقاءات قصيرة وعاجلة، وفي أوقاتٍ متباعدة، ثمّ تكثر وتتقارب.

ولا تحمل في البداية أي تكليف، وإنّما هي لقاءات تشريفيَّة، هكذا يزعم هؤلاء الأدعياء الذين خدعوا أنفسهم وخدعوا الآخرين، حتى صدقوا هم أكذوبتهم، وآمنوا بأسطورتهم، ولكي يتمكَّنوا أكثر من قلوب الناس لا تكون هذا اللقاءات مع الإمام إلَّا بعد صلاة الليل، أو بعد أداء بعض الأعمال في الأماكن المقدّسة (كأن يكون اللقاء الأول في حرم الإمام الحسين، في حرم أمير المؤمنين، عند الكعبة)، وفي الحالات التي لا تتيسَّر هذه البقاع المعظمة يتمُّ اللقاء في أيِّ مكانٍ.

ورغم أنَّ هذه المرحلة ليست مرحلة أيّ مهمةٍ تكليفيّة إلَّا أنَّ هؤلاء الأدعياء الكذبة يبدأون يمرِّرون أخبار هذه اللقاءات إلى بعض النّاس؛ لتهيئة الكفاءات الأولى لهذه الحركات والدعوات، ويبدأ الالتفاف حولهم.

رابعًا: وفي مرحلةٍ رابعةٍ يصدر التعيين الرسمي من قبل الإمام المهدي؛ ليكون هذا المدّعي الخادع هو الوسيط بين الإمام وشيعته، وربما تبدأ المهمة بتكليفاتٍ محدودة، ولأفرادٍ محدودين كأن يأمره الإمام أن يحمل سلامه إلى فلانٍ وفلانٍ وفلان، وأن يبلّغهم حبّ الإمام ودعائه لهم.

وهنـا ينبهر هؤلاء، ويـزداد ارتباطهم بهذا المدَّعِي، ويقـوى انشدادهم إليه، حيث كانـوا محلَّ نظر وعناية الإمام عليه السلام، وكثيرًا ما يتمُّ ذلك بعد أن يكلِّفهم مدَّعي الرؤية والنيابة بأعمالٍ وعباداتٍ تجعلهم محلّ عناية الإمام.

بهذه الأساليب الماكرة والخادعة يتشكَّل جهاز الدعوة لهذا النائب الكاذب، ثمَّ تتَّسِع مساحة التكليف؛ لتمتدَّ أكثر، وتكسب أفرادًا أكثر.

وربمـا اقتصر التكليف على بلـدٍ معينٍ لا يتعدّاه إلى غيره، كفـلان سفير الإمام في العراق، وفلان سفيره في إيران، في البحرين، في لبنان!

وقـد يرتقي بعضـ الأدعياء الكذَّابون على القـول بأنّهم سفراء الإمـام المهدي إلى كلِّ العـالم، كمـا ادَّعى زعيم حركـة (أنصار الإمـام المهدي) في العـراق حيث قال في بيانـه للناس: «فيا أهل العراق، إنَّ أبـي قد أرسلني لأهل الأرض، وبدأ بكم، وبأمِّ القرى النَّجف، وإنّي لمؤَيَّدٌ بجبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، وبملكوت السماوات»!!!

هكذا تبلغ الحماقات والادعاءات الكاذبة.[٣٢]

المشاهدة ستكون بعد خروج السفياني والصيحة

جـاء في آخـر توقيعٍ للإمـام المهدي عليه السلام بواسطـة السفير الرابـع علي بن محمدٍ السمري قوله: «وسيأتي شيعتي مَن يدَّعي المشاهدة، ألا فمَن ادَّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة، فهو كذّاب مفترٍ».

قلنا: إنَّ المشاهدة – هنا– تعني ادِّعاء السفارة والنيابة الخاصة، وهذا ادّعاءٌ باطلٌ، وقـد أجمع علمـاء الشيعة على وجـوب تكذيب مَن يدَّعـي (السفارة) في عصـر الغَيْبَة الكـبرى، لذلك تصـدّى الفقهاء في كلِّ الأزمنة لأيِّ مدَّعٍ لهـذا الموقع، وأصدروا الفتاوى المشدَّدة في مواجهة هذا اللون من الادعاءات الكاذبة.

---

٣٢. التاريخ: ١٨ مايو ٢٠٠٨م، الموافق: ١٨ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ٢٠٠، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

هنـا سؤال يطرح: لمـاذا حدَّد التوقيع الأمر بظهور السفياني وحـدوث الصيحة بـ:«فمَن ادَّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة، فهو كذّابٌ مفترٍ»؟

هـذا هل يعني: إنّ ادِّعاء المشاهدة إذا حصل بعد خـروج السفياني والصيحة، فلا يشمله هذا الوصف بالكذب والافتراء؟

الجواب: إنَّ خروج السفياني والصيحة من العلامات المقارنة لظهور الإمام المهدي، فمن الطبيعي أن يكون للإمام المهدي عليه السلام وكلاء ونواب وسفراء في تلك المرحلة، فمَن ادَّعى النيابة في ذلك الوقت لا يُكذّب، ولكن يطالب بالدليل والبرهان.

من المعارك التي سوف يخوضها الإمام المهدي وأنصاره هي المعركة مع (السفياني).

مَن هو السفياني؟

هو زعيمٌ سياسيّ، ينتمي إلى الإسلام إلَّا أنّه يمثِّل الإسلام التحريفي، يمارس أبشع ألوان الظلم وهتك الحرمات وسفك الدماء، وإباحة المحرمات.

في بعض الروايات أنّه: «يقتل حتى يبقر بطون النِّساء، ويقتل الصبيان».[٣٣]

وفي حديثٍ: «إنَّك لـو رأيت السفياني، لرأيـت أخبث النّاس، أشقـر، أحمر، أزرق، يقول: يا ربّ، ثاري، ثاري، ثمَّ النار».[٣٤]

وهنـاك رأيٌ آخـر يحـاول أن يفهـم (السفيـاني) فهمًـا رمزيًّا، فالسفيـاني يمثّل خط الانحـراف في الوسط الإسلامـيِّ، ويندرج في ذلك كلّ الرمـوز والقوى والحركات والكيانات المنحرفة في داخل مجتمعات المسلمين.

كما أنَّ الدّجال يمثّل الخط المعادي للإسلام الكافر بالدين.

---

٣٣. «يـخـرج السفيـاني، فيقاتـل حتى يبقر بطون النساء، ويقلي الأطفال في المراجل». الملاحـم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ١١٦.

٣٤. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٦٥١.

إذًا أمامنا تصوران للسفياني:

التصور الأول: إنَّه يمثل شخصًا معينًا له اسمه ونسبه ومواصفاته.

التصور الثاني: إنّه يمثل خطًّا انحرافيًّا يتجسّد في أكثر من شخص، وأكثر من حركة، وأكثر من كيان.

من الملاحظات الملفتة للنظر: إنَّ المصادر السُّنِّيَّة لم يرد فيها أيّ ذكرٍ للسفياني، وإنّما تحدّثت بشكلٍ واسع عن الدجال.

أمّا المصادر الشيعيّة، فركَّزت كثيرًا على أخبار السفياني.

وأمَّا الدَّجال فلم يرد إلَّا قليلًا في هذه المصادر.[٣٥]

٣٥. التاريخ: ١٢ مايو ٢٠٠٩ م، الموافق: ٢٥ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

الفصل الخامس

عصر الظُّهور

ملامح عصر الظُّهور

حينما نقرأ الأخبار التي تحدّثت عن علامات الظّهور، نجدها تُصنّف هذه العلامات إلى صنفين: العلامات العامّة، والعلامات الخاصّة.

أما العلامات العامَّة:

فظهور الفتن، وانتشار الفساد، وتفاقم الانحرافات، وسيطرة الظالمين، وسفك الدماء، وتأجّج الحروب، وتقارب البلدان وغيرها، ونقرأ ذلك في الكثير من الأخبار:

١- الأخبار التي تتحدّث عن امتلاء الأرض ظلمًا وجورًا.

- قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلمًا وعدوانًا، ثم يخرج رجلٌ من عترتي أو من أهل بيتي يملأها قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وعدوانًا».[١]

- وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لو لمْ يبقَ من الدّنيا إلَّا يومٌ واحدٌ لطوَّل الله وَجَلَّ ذلك اليوم حتى يخرج رجلٌ من ولدي فيملأها عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا».[٢]

والأخبار في هذا المعنى كثيرةٌ جدًّا.

٢- الأخبار التي تتحدّث عن وجود الفتن الكثيرة.

- قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «يتقارب الزّمان، وينقص العمل، ويُلْقَى الشيخ، وتظهر الفتن، ويكثر الهَرْج».[٣]

- وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «ستكون فتنٌ القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها

---

١. مسند أحمد - أحمد بن حنبل - ج ٣ ص ٣٦.
٢. الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٤٢٥.
٣. مسند أحمد - أحمد بن حنبل - ج ٢ ص ٢٣٣.

خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من السّاعي...».[٤]

- وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «ستكون بعدي فتن، منها فتنة الأحلاس [الدائمة المستمرة]، ويكون فيها حَرَبٌ وهَرَب، ثم بعدها فتنٌ أشدُّ منها، ثمّ تكون فتنةٌ كلّما قيل انقطعت تمادت حتى لا يبقى بيت إلا دخلته، ولا مسلم إلاّ صكّته حتى يخرج رجلٌ من عترتي».[٥]

- وفي خبرٍ آخر: «كلَّما قيل انقطعت تمادت، حتى لا يبقى بيت من العرب إلَّا دخلته، يقاتل فيها الرجل لا يدري على حقٍّ يقاتل أم على باطل، فلا يزالون كذلك حتى يصيروا إلى فسطاطين، فسطاط إيمانٍ لا نفاق فيه، وفسطاط نفاقٍ لا إيمان فيه، فإذا هما اجتمعا فأبصر الدجال اليوم أو غد».[٦]

- وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «تكون أربع فتن: الأولى يستحلّ فيها الدم الحرام، والثانية يُستحلّ فيها الدم والمال، والثالثة يُستحلّ فيها الدم والمال والفَرَج، والرابعة الدّجال».[٧]

- وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «تكون فتنةٌ... قتلاها في النّار، فقلت: وهما مسلمان؟

قال: وهما مسلمان.

قلت: لِمَ؟

قال: لأنّهم تغالبوا على أمر الدنيا، ولم يتغالبوا على أمر الله».

---

٤. مسند أحمد - أحمد بن حنبل - ج ٢ ص ٢٨٢.
٥. الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ٧٠.
٦. كتاب الفتن - نعيم بن حماد المروزي - ص ٣٠.
٧. كتاب الفتن - نعيم بن حماد المروزي - ص ٢٨.

- إلى أن قال -: «حتى تُملأ الأرض ظلمًا وجورًا ...، ثم يبعث الله رجلًا يملأها قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا».[٨]

معنى الفتنة

الفتنة في اللغة لها عدّة معاني:

المعنى الأول: الامتحان والاختبار والابتلاء: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾.[٩]

المعنى الثاني: الكفر والضلال والإثم: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾.[١٠]

المعنى الثالث: اختلاف الناس بالآراء كما جاء في الرواية: «وفتنة وبلاء يصيب الناس وطاعون قبل ذلك، وسيفٌ قاطعٌ بين العرب، واختلافٌ شديدٌ بين الناس، وتشتيت في دينهم وتغيير في حالهم».[١١]

المعنى الرابع: القتل والقتال: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾.[١٢]

٣- الأخبار التي تتحدّث عن البلاء الشديد الذي يصيب المؤمنين.

---

٨. الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ٢٤٥.
٩. العنكبوت:٢.
١٠. الإسراء:٧٣.
١١. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٢٣١.
١٢. النساء:١٠١.

- قـال الإمام الصّادق عليه السلام: «لا والله لا يكـون ما تمدّون إليه أعينكم [أي ظهور الإمام المهدي] حتى تغربلوا، لا والله لا يكون ما تمدّون إليه أعينكم حتى تمحصوا، ولا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تُميّزوا، لا والله ما يكون ما تمدون إليه أعينكم إلا بعد إياس، ولا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى يشقى من يشقي، ويسعد من يسعد».[١٣]

- وجـاء في نهج البلاغة قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا فتوقعوا ما يكون مـن إدبار أموركم وانقطاع وصلكـم، واستعمال صغاركم، ذاك حيث تكون ضربة السيف على المؤمن أهون من الدرهم من حلّه، ذاك حيث يكـون المعطى أعظـم أجرًا من المعطي، ذاك حيـث تسكرون من غير شـراب، بل من النعمة والنعيم، وتحلفون من غير اضطرار، وتكذبون مـن غـير إحـراج، ذاك إذا عضّكم البـلاء كما يعضّ القتب غارب البعير، ما أطول هذا العناء، وابعد هذا الرجاء».[١٤]

- عن جابر الجعفي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: متى يكون فرجكم؟

فقـال: «هيهات هيهـات، لا يكون فَرَجُنـا حتى تُغربلوا، ثـم تغربلوا، ثـم تغربلوا - يقولهـا ثلاثًا - حتـى يذهب الله تعالى الكـدر، ويبقى الصفو»[١٥]. [١٦]

مسيرة الثورة العالمية

خروج الإمام المهدي في مكة.

اتّفقـت مصادر الحديـث الشيعيّة والسنيّة أنّ انطلاقة الإمـام تبدأ من مكة، ومن عند بيت الله الحرام.

---

١٣. الكافي - الشيخ الكليني - ج ١ ص ٣٧١.

١٤. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٣٤ ص ٢١٢.

١٥. الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٣٩.

١٦. التاريـخ: ١٨ أبريـل ٢٠٠٩ م، الموافق: ربيـع الآخر ١٤٣٠هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ١٩٦، المكان: مسجد الإمام الصّادق عليه السلام بالقفول.

- في الحديث الوارد عن الإمام الباقر عليه السلام: «والقائم يومئذٍ بمكة قد أسند ظهره إلى البيت الحرام مستجيرًا به».

فينادي: يا أيّها النّاس إنّا نستنصر الله، فمن أجابنا من النّاس، فإنّا أهل بيت نبيّكم محمدٍ صلى الله عليه وآله، ونحن أولى الناس بالله وبمحمدٍ صلى الله عليه وآله.

فمَن حاجَّني في آدم، فأنا أولى الناس بآدم.

ومَن حاجَّني في نوحٍ، فأنا أولى الناس بنوح.

ومَن حاجَّني في إبراهيم، فأنا أولى الناس بإبراهيم.

[ومَن حاجَّني في موسى، فأنا أولى الناس بموسى.

ومن حاجَّني في عيسى، فأنا أولى الناس بعيسى].

ومَن حاجَّني في محمدٍ صلى الله عليه وآله، فأنا أولى الناس بمحمدٍ صلى الله عليه وآله.

ومَن حاجَّني في النَّبيِّين، فأنا أولى الناس بالنَّبيِّين.

أليس الله يقول في محكم كتابه: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ❖ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[١٧]

فأنا بقيّةٌ من آدم، وذخيرةٌ من نوح، ومصطفى من إبراهيم، وصفوةٌ من محمدٍ صلى الله عليه وآله.

آلا فمَن حاجَّني في كتاب الله، فأنا أولى الناس بكتاب الله.

---

١٧. آل عمران: ٣٣-٣٤.

ألا ومَـن حاجَّنـي في سنَّة رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فأنـا أولى الناس بسنَّة رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

فأُنشد الله من سمع كلامي اليوم لمَّا أبلغ الشاهد منكم الغائب.

وأسألكـم بحقّ الله، وحقِّ رسـول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وبحقّي، فإنَّ لي عليكم حـقَّ القربـى مـن رسـول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لمـا أعنتمونـا ومنعتمونا ممَّن يظلمنـا، فقد أُخفنـا، وظُلمنـا، وطُردنا مـن ديارنا وأبنائنـا، وبُغي علينا، ودُفعنا عن حقِّنا، وافترى أهل الباطل علينا، فالله الله فينا، لا تخذلونا، وانصرونا ينصركم الله تعالى.

[قـال الإمام الباقر]: فيجمع الله عليه أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا، ويجمعهم الله له على غير ميعادٍ قزعًا كقزع الخريف، وهي يا جابر: الآية التي ذكرها الله في كتابه ﴿... أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعًا إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[١٨]

فيبايعونـه بـين الركن والمقام ومعـه عهدٌ من رسـول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قد توارثه الأبناء عن الآباء.

والقائـم يا جابر، رجل من ولـد الحسين، يصلح الله له أمره في ليلة، فمـا أشكل على الناس مـن ذلك، فلا يشكلن عليهم ولادته من رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ووراثتـه العلمـاء عالمًـا بعد عـالم، فإنَّ أشـكل هذا كلّه عليهم، فـإنّ الصوت من السمـاء لا يشكل عليهـم إذا نودي باسمه، واسم أبيه، واسم أمِّه.»[١٩]

---

١٨. البقرة:١٤٨.

١٩. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٩١.

كيف يلتحق أنصار الإمام المهدي عجل الله فرجه به؟

يوجد رأيان:

الـرأي الأول: يصلـون، ويلتحقـون بالإمـام المهـدي عليه السلام في مكة المكرمـة بشكلٍ إعجازي.

فالروايات الواردة في كيفيّة التحاقهم بالإمام المنتظر عليه السلام تنصّ على ذلك، ويؤيّد أصحاب هذا الرأي مقولتهم بالفقرات التالية الواردة في الروايات:

- «يجتمعون في ساعةٍ واحدة».[٢٠]
- «تطوى لهم الأرض طيًّا».[٢١]
- «يسيرون في السحاب نهارًا».[٢٢]
- «يفقدون من فرشهم، فيصبحون بمكة».[٢٣]

الرأي الثاني: يصلون إلى مكّة بطريق السفر الاعتيادي.

فقـد جاء في بعض الروايات أنّه ينادى باسم المهدي عليه السلام في شهر رمضان، ويكون ظهوره في العاشر من المحرم.[٢٤]

فيكون موسم الحجّ هو الفرصة الطبيعيّة؛ لتوافد أنصار الإمام عليه السلام.

---

٢٠. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٩ ص ١٠٣.

٢١. «تطوى لهم الأرض حتى يبايعوه» روضة الواعظين - الفتال النيسابوري - ص ٢٦٣.

٢٢. «من يرى يسير في السحاب نهارا» - كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٢٦ -

٢٣. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٢٧

٢٤. عـن الإمـام الصّـادق عليه السلام: «ينـادى باسـم القائـم في ليلة ثـلاث وعشرين، ويقوم في يـوم عاشوراء وهو اليـوم الذي قتل فيه الحسـين بـن علـي عليه السلام لـكأني به في يوم السبت العاشر من المحرم قائمًا بين الركن والمقـام جبرئيل بين يديه ينادى البيعة لله، فيصير إليه شيعته من أطراف الأرض، تطوى لهم الأرض حتى يبايعوه». روضة الواعظين - الفتال النيسابوري - ص ٢٦٣.

وعلى ضوء هذا الرأي تفسير الروايات باستخدام الوسائل الحديثة للنقل.[٢٥]

هكذا هم الأنصار

يظهر الإمام المهدي عليه السلام في مكة المكرمة، وعند الكعبة المشرفة.

يجتمع أصحابه من بقاع متعدّدة، فيبايعون الإمام بين الركن والمقام.

عددهم ثلاثمائة وثلاثة عشر.

من أهم صفاتهم كما جاء في الروايات:

أ- النُّجباء، الأبدال، الأخيار: «عن جابر الجعفي، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يبايع القائم بين الرُّكن والمقام ثلاثمائة ونيف عدة أهل بدر، فيهم النُّجباء من أهل مصر، والأبدال من أهل الشَّام، والأخيار من أهل العراق، فيقيم ما شاء الله أنْ يقيم».[٢٦]

ب- «رهبانٌ في الليل، ليوثٌ في النّهار».[٢٧]

ج- «رجالٌ لا ينامون الليل لهم دويّ في صلاتهم كَدويّ النحل».[٢٨]

د- «يشتاقون إلى الشهادة، ويتمنّون أن يقتلوا في سبيل الله».[٢٩]

ه- «رجالٌ كأنّ قلوبهم زبر الحديد، لا يشوبها شكٌّ في ذات الله».[٣٠]

---

٢٥. التاريخ: ٢٨ مايو ٢٠٠٩ م، الموافق: ٣ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ٢٠٢، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

٢٦. كتاب الغيبة - الطوسي - ص ٤٧٦.

٢٧. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٣٠٨.

٢٨. المصدر نفسه.

٢٩. المصدر نفسه.

٣٠. المصدر نفسه.

و- «إنّ أصحاب القائم شبابٌ لا كهول فيهم إلّا كالكحل في العين».[٣١]

حركة السّفياني

في حديث عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «السفياني والقائم في سنةٍ واحدة».[٣٢]

السّفياني ينتمي إلى أبي سفيان الأموي، لذلك يُسمّى - كما في بعض الروايات[٣٣] - ابن آكلة الأكباد، أي هند زوجة أبي سفيان، وقصّتها مشهورة في التاريخ، حينما قتل حمزة بن عبد المطلب عمّ الرسول صلى الله عليه وآله في واقعة أحد، فجاءت هند ومثّلت بالجسد الطاهر، وأخرجت كبد الحمزة (رضوان الله عليه)، ولاكتها في فمها تشفّيًا وحقدًا وعداوة.

فالسفياني أمويّ النسب، جدُّه أبو سفيان، وجدّته هند، وسمَّته بعض الأخبار (عثمان بن عنبسة).[٣٤]

وهناك اتجاهٌ يفسِّر السّفياني بأنّه رمزٌ لكلّ القوى المنحرفة في داخل مجتمعات المسلمين.

انطلاق السُّفياني

من أين ينطلق السّفياني في حركته المناهضة للإمام المهدي عليه السلام؟

في الكثير من الأخبار: أنّه ينطلق من الوادي اليابس.[٣٥]

أين يقع الوادي اليابس؟

٣١. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٣٠.

٣٢. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٢٤٠

٣٣. عن أبي عبد الله عليه السلام، قال أبي عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: يخرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس وهو رجل ربعة، وحش الوجه، ضخم الهامة، بوجهه أثر جدري إذا رأيته حسبته أعور، اسمه عثمان وأبوه عنبسة، وهو من ولد أبي سفيان حتى يأتي أرضًا ذات قرار ومعين فيستوي على منبرها. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٦٥١.

٣٤. المصدر نفسه.

٣٥. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٦٥١.

الوادي اليابس يمتدّ من حوران إلى الأردن وفلسطين.

حينما ينطلق السفياني يسيطر بلاد الشام، وتشمل (سوريا، ولبنان، والأردن، وفلسطين)، ويقتل خلقًا كثيرًا، ويهرب أتباع أهل البيت عليهم السلام إلى مكة، وإلى مناطق أخرى.

ثمّ يرسل السفياني جيشًا إلى المدينة المنورة، فيسرفون فيها القتل والفواحش.

ويكون الإمام المهدي عليه السلام وقتئذٍ قد لجأ إلى بيت الله، وأعلن دعوته.

وهنا يتحرَّك جيش السُّفياني من المدينة متوجِّهًا إلى مكة لمقاتلة الإمام المهدي عليه السلام.

حركة السُّفياني ومصيرها!

ماذا يحدث لجيش السّفياني المتوجِّه إلى مكة؟

نذكر هنا بعض الأخبار الواردة:

١- جاء في كتاب تاريخ المدينة المنورة لابن شبه البصري - من علماء السُّنة عاصر الإمام العسكري عليه السلام - عن النبي صلى الله عليه وآله: «يبايع لرجلٍ بين الركن والمقام عدّة أهل بدر، فتأتيه عصائب أهل العراق وأبدال أهل الشام، فيغزوهم جيش من أهل الشام، فإذا كانوا بالبيداء خسف بهم...».[٣٦]

- وفي بعض الروايات: «حتى إذا علو البيداء من ذي الحليفة خسف بهم».[٣٧]

٢- وفي الكتاب نفسه: عن عبد الله بن عمر: «إذا خُسف الجيش بالبيداء، فهو علامة خروج المهدي».[٣٨]

---

٣٦. تاريخ المدينة - ابن شبة النميري - ج ١ ص ٣٠٩.
٣٧. المصدر نفسه: ج ١ ص ٢٧٩.
٣٨. المصدر نفسه: ج ١ ص ٣١٠.

٣- وروى الشيخ النعماني في كتاب الغَيْبَة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال - وهو يتحدّث عن الإمام المهدي -: «يكون مبدؤه من قبل المشرق، وإذا كان ذلك خرج السفياني، فيملك قدر حمل امرأة تسعة أشهر، يخرج بالشام، فينقاد له أهل الشام إلّا طوائف من المقيمين على الحقّ، يعصمهم الله من الخروج معه، ويأتي المدينة بجيشٍ جرَّار، حتى إذا انتهى إلى بيداء المدينة خسف الله به ...».[٣٩]

٤- وروى الشيخ الصدوق في كمال الدين عن الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ خروج السفياني من الأمر المحتوم،...، [ثمّ قال]: وخروج القائم عليه السلام من الأمر المحتوم.

[قلت]: كيف يكون النداء؟

قال: ينادي منادٍ من السماء أول النهار: ألَا إنَّ الحق في عليٍّ وشيعته.

ثمّ ينادي إبليس (لعنه الله) في آخر النهار: ألَا إنَّ الحق في السفياني وشيعته، فيرتاب عند ذلك المبطلون ...».[٤٠]

هذه بعض الأخبار التي تتحدَّث عن خروج السفياني، وعن الخسف الذي يصيب جيشه في البيداء، وبعد ذلك تحدث المعركة بين الإمام المهدي والسفياني حينما يتوجه إلى الإمام المهدي لفتح فلسطين.[٤١]

الخط البياني لحركة الإمام المهدي عليه السلام

مكة المكرمة ← المدينة المنورة ← الكوفة في العراق ← دمشق ← بيت المقدس في فلسطين.

ماذا بعد فلسطين؟

- هل يعود الإمام إلى مكة؟

٣٩. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣١٦.

٤٠. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٦٥٢.

٤١. التاريخ: ٦ يونيو ٢٠٠٩ م، الموافق: ١٠ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ.

– هل يعود إلى العراق باعتبارها عاصمة الدولة الكبرى التي يقيمها الإمام المهدي؟

لعل هذا الأرجح.

الانطلاق من مكة

بعد أن يُعلن الإمام المهدي بدء انطلاقته وهو مسندٌ ظهره إلى الكعبة المشرفة، ويبايعه ثلاثمائة وثلاثة عشر من أصحابه بين الركن والمقام.

هل تحدث مواجهة بين الإمام المهدي وأهل مكة؟

وهل يبايعه أهل مكة؟

لا تتحدّث الأخبار عن مواجهات في مكة عند بدء الانطلاق.

ولا تتحدَّث الأخبار عن مبايعة أهل مكة الإمام المهدي عليه السلام.

ما تتحدّث عنه الأخبار هو أنَّ الإمام المهدي يمكث في مكة مدّة من الزمن.

كم هي هذه المدّة لا تذكرها الأخبار.

ماذا يمارس في هذه المدة؟

لا تشرح لنا الأخبار ذلك، إلَّا في بعضها أنّه يقيم بعض الحدود.

ومن المتوقّع جدًّا أنَّ الإمام المهدي في هذه المرحلة – مرحلة بدء الانطلاق – أنّه يوجّه خطابه من مكة المكرمة إلى كلّ المسلمين وإلى جميع العالم، حيث إنَّ أصداء ظهور الإمام المهدي سوف تنتشر عبر وسائل الإعلام إلى جميع أقطار العالم.

وذكرنا أنَّ أول من يُعلن حربه مع الإمام المهدي عليه السلام السفياني الذي يُسيطر على

الشـام، فيحرك جيشًا لمقاتلة الإمام المهدي في مكة، هذا الجيش، يبدأ بالمدينة المنورة، ثمَّ ينطلق إلى مكة المكرمة، وعند البيداء يُخسف به - كما تقدّم -.

وبعد أن يمكث الإمام المهدي مدّة من الزمن في مكة، وبعد أن يكتمل أنصاره (عشرة آلاف) يقرّر أن يغادر مكة متوجهًا إلى المدينة المنورة بعد أن يُعيّن حاكمًا على مكة.

وتذكـر بعض الأخبـار أنّ أهل مكـة ينقلبون على الإمـام المهدي، بعـد مسيرةٍ إلى المدينـة، فيقتلـون عامله - يبلغه ذلـك في الطريق -، فيرجع إليهـم، فيقتل المقاتلة، ولا يزيد على ذلك، ويستخلف عليهم خليفة.

إلى المدينة المنورة

المحطّة الثانية المهمّة في حركة الإمام المهدي هي (المدينة المنورة).

في المدينة يخوض الإمام معركتين:

المعركـة الأولى: حين وصوله إلى المدينة، حيث يتصدّى له أقوام، ويحرّضون الناس علـى مواجهتـه وقتاله، فيقاتلهم الإمام، ويقتل منهم مئات كمـا تتحدّث بعض الأخبار، وهكذا يفرض سيطرته على المدينة، ويُعيّن عليها حاكمًا.

والمعركـة الثانيـة: حينما يخرج متوجهًـا إلى العراق، وفي أثنـاء الطريق، يقوم أهل المدينة بانقلابٍ على واليه فيقتلونه، فيرجع إليهم الإمام المهدي، ويقاتلهم قتالًا شديدًا، ويفرض مرةً ثانية سيطرته التامّة على المدينة، ويعيّن عليها حاكمًا آخر.

كم يبقى في المدينة المنورة؟

لا تتحدّث الأخبار عن ذلك.

ما هي المهمّات التي يمارسها في هذه المدّة؟

لا نجد ذلك واضحًا في الأخبار.

نعم تشير بعض الأخبار إلى حدوث حوارات مع الإمام المهدي حول بعض قضايا العقيدة.

كما أنّه يدعو النّاس إلى كتاب الله وسنة نبيِّه صلى الله عليه وآله، وإلى ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

إلى (الكوفة) في العراق

الإمام يتوجَّه مباشرةً إلى الكوفة.

كيف يتحرّك إلى العراق؟

هل يتحرّك برًا؟

هل يتحرَّك جوًّا؟

يظهر من الأخبار أنَّ دخول الإمام المهدي إلى العراق يتمّ برًّا وجوًّا.

أمَّا برًّا: فالإمام يُرسل جيشًا يدخل العراق مشيًا.

أمَّا جوًّا: فدخول الإمام نفسه مع عددٍ من مرافقيه.

في خبر عن الإمام الباقر عليه السلام أورده العياشي في تفسيره قال: «ينزل - القائم - في سبع قبابٍ من نورٍ، لا يعلم في أيِّها هو، حتى ينزل ظهر الكوفة».[٤٢]

سبع قبابٍ من نور: لعلَّه إشارة إلى مركبات فضائيَّة، أو سربٌ من الطائرات.

---

٤٢. تفسير العياشي - محمد بن مسعود العياشي - ج ١ ص ١٠٣.

ينــزل بظهــر الكوفة: وفي هذا إشارةٌ إلى وجود مطارٍ جــوّي بظهر الكوفة، أو قاعدةٍ جويّةٍ؛ لنزول الطائرات، أو المركّبات الفضائيّة (ظهر الكوفة يعني النَّجف).

ميزان القوى في العراق

هل تحدث معارك في العراق؟

يظهــر من الأخبار أنَّ العــراق حين دخول الإمام المهدي عليه السلام فيه ثلاث راياتٍ، أي ثلاث قوى، أو ثلاثة اتجاهاتٍ متضاربة:

الرَّاية الأولى (القوّة الأولى/ الاتجاه الأول): المؤيدون للإمام المهدي عليه السلام، وهؤلاء يُعلنون الانضمام للإمام المهدي عليه السلام فور وصوله.

ولعلّ هؤلاء هم شيعة أهل البيت، والمعتدلون من بقيّة المسلمين.

الرَّاية الثانية (القوّة الثانية/ الاتجاه الثاني): أتباع السّفياني المتشدّدون ضدّ أتباع أهل البيت.

فكما تذكر الأخبار أنّ السفياني يُرسل جيشًا إلى العراق، ويمارس القتل والفتك.

وفي بعض الأخبــار أنَّ صاحــب السفياني في العراق ينادي منادیــه: من جاء برأس شيعة علي، فله كذا من المال، فيثب الجار على جاره، ويقول: هذا منهم، فيضرب عنقه، ويأخذ المال.[٤٣]

الرَّايــة الثالثــة: (القوة الثالثــة/ الاتجاه الثالــث): لا تحدِّد الأخبــار[٤٤] هُويَّة هذه

٤٣. عــن أبــي عبــد الله عليه السلام قــال: «كأني بالسفيــاني، أو بصاحــب السفياني قد طرح رحلــه في رحبتكم بالكوفة، فنــادى مناديه: مَــن جــاء برأس شيعة عليٍّ، فله ألف درهم، فيثب الجار على جــاره، ويقول: هذا منهم، فيضرب عنقه، ويأخذ ألف درهم». بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٢١٥.

٤٤. المحقــق: الظاهــر أن سماحــة السيد يشير إلى الروايات التي تحدثت عن الدجال، وهي روايات كثيرة، منها مثلًا: «...، ومع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي، كلهم ذو ساج وسيف محلى، فإذا نظر إلى عيسى ذاب كما يذوب الرصاص، وكما يذوب الملح في الماء، ثم يخرج هاربًا، فيقول عيسى: إنَّ لي فيك ضربة لن تفوتني بها، فيدركه فيقتله، فلا يبقى شيئ مما خلق الله يتوارى بــه يهــودي إلا أنطقــه الله وجل، لا حجر ولا شجر ولا دابة إلّا قال: يــا عبد الله المسلم، هذا يهودي فاقتله، إلا الغرقد فإنها من شجرهم فلا تنطق، ويكون عيسى في أمَّتي حكمًا عدلًا، وإمامًا مقسطًا، ويدق الصَّليب، ويقتل الخنزير ...».

القـوّة، ويحتمل أنَّها تمثِّـل الجماعات الموالية للغرب في الأفـكار والانتماء السياسي، أو الجماعات اللا دينيَّة من العلمانيين والليبراليين وأمثالهم.

وهنـاك رايتان تقدمان من خارج العراق، وهما رايتـان تنضمَّان إلى الإمام المهدي (رايةٌ من إيران)، و(رايةٌ من اليمن).

هكذا يتشكّل ميزان القوى في العراق.[٤٥]

ماذا بعد أن يستقرّ الوضع في العراق للإمام المهدي؟

حينما يستقرُّ الوضع في العراق تكون دولة الإمام المهدي قد شملت:

- الحجاز (مكة، والمدينة)، وهذا يعني امتداد حكمه على الجزيرة العربيّة والخليج.

- إيران، كونها تعلن الانضمام إلى دولة الإمام المهدي بلا قتال.

- العراق.

- اليمن تعلن انضمامها بلا قتال.

ثمّ يبدأ يتحرّك على مناطق أخرى.

فيرسـل جيشًا إلى (الـترك)، ولعلَّ الترك إشـارة إلى كلِّ الـدول المتمثّلة في تركيا والروسـ، ومن حولهم من شعوب أوربـا الشرقيّة، ويكون النصر في هذه المعارك لجيش الإمام المهدي.

وتبقى المواجهة بين الإمام المهدي والسفياني.

والمواجهة بين الإمام المهدي والدَّجال.

والمواجهة بين الإمام المهدي واليهود.

---

٤٥. التاريخ: ١٦ يونيو ٢٠٠٩ م، الموافق: ١٧ جمادى الآخرة ١٤٣٠هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ٢٠٤، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

والمواجهة بين الإمام المهدي وقوى الغرب.[٤٦]

معركة الإمام المهدي مع السفياني

تقدَّم القـول: إنَّ ظهور السفياني مقارنٌ لظهور الإمام المهدي عليه السلام، وظهوره - أي السفياني - في الشَّام، وظهور الإمام المهدي في مكة المكرمة.

وحسـب الرِّوايات[٤٧]: إنَّ السفياني يستولي على سوريـا والأردن وفلسطين، ويُرسل جيوشه إلى العراق، والمدينة المنورة.

وكمـا سبـق ينتصر الإمـام المهدي على جيوش السفياني في المدينـة، وفي العراق، وهكـذا يستقرّ الوضع لصالح الإمـام المهدي في الحجاز والعـراق، وبعدها يبدأ الإمام المهـدي بالتحـرّك إلى مناطق أخرى، فيُرسـل جيشًا إلى بلاد الترك ومـا والاه، ويكون النّصر للإمام عليه السلام.

ثـمّ يتحـرّك الإمام بنفسـه على رأس جيشه متوجّهًـا إلى الشّـام، وهناك تحدث معركتان كبيرتان، المعركة مع السفياني، والمعركة مع الدَّجال.

وتتحـدّث الأخبار عن راياتٍ تخرج من خراسان وتُنصب في القدس، ولعلّ المقصود بخراسان (إيـران)، وهذه الرّايات تسبق حركة الإمام إلى الشّام، أو هي من القطعات المتقدّمة في جيش الإمام.

جـاء في روايةٍ ذَكَرهـا الترمذي في جامعه، وأحمد في مسنـده، والبَيْهقي في دلائله، وصحَّحهـا ابن الصدِّيـق المغربي في رسالته ردًّا على ابن خلـدون: «يخرج من خراسان راياتٍ سود، فلا يردّها شيءٌ حتى تُنصب بإيلياء»[٤٨]

---

٤٦. التاريخ: ٢ أكتوبر ٢٠٠٩ م، الموافق: ١١ شوال ١٤٣٠هـ المناسبة: حديث الجمعة: ٢٠٧، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

٤٧. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٨٩.

٤٨. سنن الترمذي - الترمذي - ج ٣ ص ٣٦٢. مسند أحمد - الإمام احمد بن حنبل - ج ٢ ص ٣٦٥.

وإيلياء هي (القدس).

وفي روايةٍ أخرى: «يخرج على لواء المهدي غلامٌ حدث السّن، خفيف اللحية أصفر، لو قاتل الجبال لهزّها، حتى ينزل إيليا»[٤٩].

وفي بعض الروايات[٥٠]: إنَّ هذا القائد اسمه صالح بن شعيب، وهو قائد جيش الإمام المهدي في حملته؛ لتحرير الشَّام، وفلسطين.[٥١]

الإمام في مواجهة السفيانيّ

يتوجَّه الإمام من العراق إلى الشَّام، ويقود جيشًا لمواجهة السفياني.

تبدأ المعركة مع جيش السفياني في دمشق، فينتصرُ جيشُ الإمام المهدي على جيش السفياني انتصارًا كاسحًا.

ثمّ يتقدّم جيش الإمام المهدي إلى القدس، ويدخلها فاتحًا منتصرًا.

جاء في الحديث: «يخرج المهدي في اثني عشر ألفًا إنْ قلّوا وخمسة عشر ألفًا إنْ كثروا، ويسير الرُّعب بين يديه، لا يلقاه عدوٌ إلَّا هزمهم، بإذن الله، شعارهم أَمِت أَمِت، لا يُبالون في الله لومة لائم، فيخرج إليهم سبع راياتٍ من الشّام، فيهزمهم، ويملك، فترجع إلى المسلمين محبّتهم ونعمتهم».[٥٢]

وفي خبر آخر: «ثمّ يأتي - يعني الإمام المهدي - الكوفة، فيُطيل بها المكثَ ما شاء الله أن يمكث؛ حتى يظهر عليها، ثمّ يسير حتى يأتي العذراء - يعني مرج عذراء قرب دمشق - هو ومن معه، وقد ألحق به ناسٌ كثيرٌ، والسفياني يومئذٍ بوادي الرّملة، حتى

٤٩. الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ١٢٠.

٥٠. الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ١١٨.

٥١. التاريخ: ٢ أكتوبر ٢٠٠٩ م، الموافق: ١١ شوال ١٤٣٠هـ، المناسبة: حديث الجمعة ٢٠٧، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

٥٢. الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ١٣٨.

إذا التقوا وهو يوم الأبدال، يخرج أناسٌ كانوا مع السفياني من شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله، ويخرج أناسٌ كانوا مع آل محمد إلى السفياني، فهم من شيعته؛ حتى يلحقوا بهم، ويخرج كلّ ناسٍ إلى رايتهم وهو يوم الأبدال، ويُقتل يومئذٍ السفياني ومَن معه؛ حتى لا يدرك منهم مخبر...».[٥٣]

تحرير القدس

ثمّ يتقدّم جيش الإمام إلى القدس، ويدخلها فاتحًا منتصرًا.

هنا نطرح هذا السؤال: هل تبقى القدس في قبضة اليهود حتى ظهور الإمام المهدي، فتُحرّر على يديه؟

حينما نقرأ الأخبار التي تتحدّث عن ذلك نجدها عدَّة طوائف:

أ- طائفةٌ من الأخبار تتحدّث عن الرّايات السُّود التي تخرج من خراسان، وتُنصب في إيلياء - يعني القدس -.

ب- طائفةٌ من الأخبار تتحدّث عن قومٍ يبعثهم الله قبل خروج القائم عليه السلام يُقاتلون اليهود.

ج- طائفةٌ من الأخبار تتحدّث عن دخول جيش الإمام المهدي إلى القدس فاتحًا.

يمكن أن نجمع بين هذه الطوائف من الأخبار على النحو التالي:

١- وجود ممهِّدين للإمام المهدي، يُقاتلون اليهود، ويُنزلون بهم هزائم كبيرة، ويُحرِّرون القدس، إلَّا أنَّ هذا لا يعني الانتهاء الكامل لدولة اليهود في فلسطين.

٢- حينما يظهر السفياني تقع فلسطين والقدس تحت قبضته، ومن الواضح أنَّ السفياني يُمثِّل خطّ الضّلال والانحراف في داخل المسلمين، ومن الطبيعي أنْ تكون

٥٣. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٢٢٤.

لـه علاقاتٌ وارتباطـاتٌ بالغرب وباليهود، ممّا يدفـع اليهـود إلى أنْ ينشطوا، ويُعيدوا وجودهم القوي في فلسطين بعد الهزائم المنكرة التي لاحقتهم على أيدي القوى الممهِّدة لظهور الإمام المهدي عليه السلام، وحدَّت من قدراتهم، وكبريائهم.

٣- وأمَّـا الرَّايات السُّـود التي تنزل (إيلياء) - يعني القدس -، فيُحتمل أنّها طلائع مـن جيشـ الإمام المهدي تصل إلى القدس إلّا أنّهـا لا تحرِّرها تحريرًا كاملًا من جيش السفياني، ومن بقايا اليهود.

٤- وأمَـا التَّحرير الكامل للقدس، وإنهاء الوجـود اليهودي في فلسطين، فيكون على يد الإمام المهدي عليه السلام.[٥٤]

خلاصة ما تقدَّم من أحاديث:

١- يبـدأ الإمام المهدي عليه السلام حركته التغييريّـة الكبرى في العالم من مكَّة المكرَّمة، ومن عند بيت الله الحرام.

٢- الخـطّ البياني لحركـة الإمام المهـدي: مكّة المكرّمـة، المدينة المنـوّرة، النجف الأشرف، القدس، استمرار الحركة.

٣- حينما يصل الإمام إلى العراق، وينتصر على كلِّ القوى المعارضة، يبدأ بتأسيس عاصمـة الدولـة الإسلاميَّـة الكـبرى في العالم حيث تكـون العراق هـي عاصمة الإمام المهدي عليه السلام.

٤- وبعـد أن يستقـرّ الوضـع في العراق لصالـح الإمام المهدي، يبـدأ التحرّك على مناطـق أخرى في العالم، فيرسل جيشًا إلى بلدان التُرك، ولعلّ المراد هنا ليس (تركيا) الحاليّة، وإنّما دول الشرق الأقصى.

---

٥٤. التاريخ: ١٣ أكتوبر ٢٠٠٩ م، الموافق: ١٨ شوال ١٤٣٠هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ٢٠٨، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

٥- ثـمّ يتحـرّك الإمام بنفسه علـى رأس جيشٍ متوجهًـا إلى الشّام، وهناك تحدث معركتان عظيمتان: المعركة مع السفياني، والمعركة مع الدَّجّال.

وكمـا تقـدّم القـول: إنَّ السفياني زعيـمٌ سياسيٌّ ينتمـي إلى الإسـلام إلَّا أنّه يمثِّل الإسـلام التحريفيَّ، ويمارس أبشع ألوان الظُّلم، وسفك الدِّماء، وسُمِّي السفياني نسبةً إلى أبي سفيان الأمويِّ.

وأمَّا الدَّجّال، فزعيمٌ سياسيٌّ لا ينتمي إلى الإسلام، وإنّما يمثِّل خطَّ الكفر.

وكيف تحدث المعركة مع السفياني، وكيف تحدث المعركة مع الدَّجّال؟[٥٥]

المعارك مع اليهود والكفر

بعد أن ينتصر الإمام المهدي على قوى الانحراف المتمثّلة في السفياني، تبدأ معاركه مع اليهود، وقوى الكفر.

وقبـل أن تبدأ هذه المعارك، ينزل السيّد المسيـح عيسى بن مريم عليه السلام من السَّماء؛ ليشترك مع الإمام المهدي في معاركه ضدّ اليهودن وقوى الكفر.

إنَّ نـزول عيسـى بن مـريم في آخر الزّمان مـن الأمور المسلَّمة عنـد المسلمين، وقد توفَّرت الأخبار الصحيحة المدوّنة في أهمّ مصادر الحديث المعتبرة الدالّة على ذلك.

هذه نماذج من تلك الأخبار:

١- روى البخـاري ومسلم، وغيرهما من أئمّـة الحديث أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم».[٥٦]

---

٥٥. التاريخ: ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٩ م، الموافق: ٤ شوال ١٤٣٠هـ، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول، حديث الجمعة: ٢٠٦.
٥٦. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ١٤ ص ٣٤٤. صحيح البخاري - البخاري - ج ٤ ص ١٤٣.
صحيح مسلم - مسلم النيسابوري - ج ١ ص ٩٤.

لم يذكر البخاري ومسلم من هو إمام المسلمين حينما ينزل نبيَّ الله عيسى بن مريم، إلَّا أنَّ شرَّاح البخاري ومسلم، والمصادر الأخرى ذَكَرت: إنَّ هذا الإمام هو الإمام المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله.

٢- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده، ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال؛ حتى لا يقبله أحد».[٥٧]

ذكرت هذا الحديث الكثير من المصادر.[٥٨]

وهنا أيضًا لم يرد ذِكْر الإمام المهدي، إلَّا أنَّ الأخبار الكثيرة المدوّنة في مصادر الحديث تُصرّح بأنّ نزول عيسى في زمن الإمام المهدي.

٣- وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «لا تزال طائفة من أمَّتي يُقاتلون على الحقِّ ظاهرين إلى يوم القيامة، (قال): فينزل عيسى بن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ بنا، فيقول: لا، إنَّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمَّة».[٥٩]

٤- وعن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فيلتفت المهدي وقد نزل عيسى عليه السلام كأنَّما يقطر من شعره الماء، فيقول المهدي عليه السلام: تقدَّم صلِّ بنا، فيقول عيسى عليه السلام: إنّما أُقيمت الصَّلاة لك، فيُصلِّي عيسى خلف رجلٍ من ولدي...».[٦٠]

٥- وفي عدّة أخبارٍ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «بينما هو - يعني الإمام المهدي - والمؤمنون معه في بيت المقدس، يلتفت المهدي وقد نزل عيسى بن مريم، فيقول المهدي:

---

٥٧. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٣٨٣.

٥٨. صحيح البخاري - البخاري - ج ٤ ص ١٤٣. صحيح مسلم - مسلم النيسابوري - ج ١ ص ٩٣.

٥٩. صحيح مسلم - مسلم النيسابوري - ج ١ ص ٩٥.

٦٠. الحاوي للسيوطي ٢: ٨١.

تقدَّم صلِّ بنا، فيضع عيسى يده بين كتفيه - يعني المهدي -، ثمّ يقول له: تقدَّم، فصلِّ، فإنَّها لك أُقيمت، فيُصلِّي بهم إمامهم وإمام عيسى...».[٦١]

وفي روايةٍ أخرى: «...، فيقول المهدي: تقدَّم صلِّ بالناس، فيقول عيسى: إنَّما أُقيمت الصَّلاة لك، فيصلِّي خَلْف رجلٍ من وِلدي».[٦٢]

٦- وفي حديثٍ عن أمير المؤمنين عليه السلام: «...، ويدخل المهدي عليه السلام بيت المقدس، ويصلِّي بالناس إمامًا، فإذا كان يوم الجمعة وقد أقيمت الصَّلاة نزل عيسى بن مريم بثوبين مشرقين حمر، كأنّما يقطر من رأسه الدّهن، رجل الشعر، صبيح الوجه أشبه خلق الله بأبيكم إبراهيم خليل الرّحمن عليه السلام، فيلتفت المهدي عليه السلام، فينظر عيسى عليه السلام، فيقول لعيسى: يا ابن البتول، صلِّ بالناس، فيقول: لك أُقيمت الصَّلاة، فيتقدَّم المهدي عليه السلام، فيصلِّي بالناس، ويصلِّي عيسى خلفه ويُبايعه. ويخرج عيسى عليه السلام، فيلتقي الدَّجَّال، فيطعنه، فيذوب كما يذوب الرّصاص، ولا تقبل الأرض منهم أحدًا. لا يزال الحجر والشجر، يقول: يا مؤمن تحتي كافر اقتله ...».[٦٣]

الأخبار الكثيرة تؤكِّد أنّ المعركة مع الكفار واليهود والدجّال تكون بقيادة الإمام المهدي، ويكون عيسى عليه السلام مساندًا، ومعاضدًا، ومؤازرًا له.

٧- وعن أبي سعيد الخِدْري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «منَّا الذي يُصلِّي عيسى بن مريم عليه السلام خلفه».[٦٤]

٨- وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «...، فينزل عيسى عند صلاة الفجر، فيقول له أمير الناس تقدّم يا روح الله، فصلِّ بنا، فيقول: إنَّكم معشر هذه الأمَّة أمراء بعضكم على

٦١. غاية المأمول: ج ٥ ص ٣٦٥ على ما في منتخب الأثر.
٦٢. الحاوي للسيوطي ٢: ٨١.
٦٣. شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي - ج ٢٩ ص ٥٧٨.
٦٤. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ ص ٨٤.

بعض، تقدَّم أنت فصلِّ بنا، فيتقدَّم، فيصلِّي بهم. رواه السيوطي في الدّر المنثور.[٦٥]

٩- وروى ابن ماجه في سننه عن أبي أمامة الباهلي قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان أكثر خطبته حديثًا حدثناه عن الدَّجَّال، وحذرناه، ثمّ ذَكَر الحديث إلى أنْ قال: «وإمامهم رجلٌ صالحٌ فبينما إمامهم قد تقدَّم يُصلِّي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى؛ ليتقدَّم عيسى يصلي بالناس، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثمّ يقول له: تقدَّم، فصلِّ، فإنَّها لك أُقيمت، فيصلِّي بهم إمامهم».[٦٦]

وروى هذا الحديث أبو داوود في سننه، وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم في المستدرك، وصححه الذهبي.

١٠- وعن أبي سعيد الخِدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده، إنَّ مهديَّ هذه الأمَّة الذي يصلِّي خلفه عيسى عليه السلام منَّا، ثمَّ ضرب بيده على منكب الحسين عليه السلام، وقال: مِنْ هذا، مِنْ هذا».[٦٧]

١١- وفي الحديث: «ينزل عيسى على ثنية بالأرض المقدّسة ...، وبيده حربة يقتل بها الدَّجَّال، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح، فيتأخَّر الإمام، فيقدِّمه عيسى ويصلِّي خلفه على شريعة محمدٍ (عليه الصَّلاة والسَّلام)».[٦٨]

أكتفي بهذا القدر اليسير من الأخبار والأحاديث، وهناك الكثير المدوَّن في المصادر

---

٦٥. الدر المنثور - جلال الدين السيوطي - ج ٢ ص ٢٤٣.

٦٦. سنن ابن ماجة - محمد بن يزيد القزويني - ج٢ ص ١٣٦١.

٦٧. دلائل الامامة - محمد بن جرير الطبري - ص ٤٤٣.

٦٨. وفي الحديث: «إنَّ عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها: أفيق، وعليه ممصرتان، وشعر رأسه دهين، وبيده حربة، وبها يقتل الدجال، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة الصبح والإمام عليه السلام يؤم بهم، فيتأخر الإمام، فيقدمه عيسى، ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وآله ...». تفسير جوامع الجامع - الشيخ الطبرسي - ج٣،ص٣١٢.

السُّنِّيَّة والشِّيعيَّة وهي مُجمعة على نزول عيسى في آخر الزَّمان، وصلاته خلف إمام هذه الأمَّة، وليس للأمَّة من إمامٍ في آخر الزَّمان إلَّا الإمام المهدي.

مواقف الرَّافضين لروايات صلاة النَّبيِّ عيسى خلف الإمام

وقد حاول البعض ممَّن لم يستوعبوا هذه المسألة - وهي أنْ يصلِّي نبيٌّ من أنبياء أولي العزم خلف إمامٍ من أئمّة أهل البيت، كون النُّبوَّة أفضل من الإمامة - أنْ يُشكِّكوا في صحَّتها، أو في توجيهها توجيهًا آخر، فاختلفوا إلى مواقف:

الموقف الأول: أنكر هذه المسألة تمامًا.

وهذا الموقف واضح البطلان؛ لاشتهار أخبار نزول عيسى وصلاته خلف الإمام المهدي.

الموقف الثاني: ادَّعى أنَّ الذي يؤمَّ المسلمين هو عيسى بن مريم، وليس الإمام المهدي مستندين إلى حديثٍ يقول: «يخرج الدَّجَّال بالشام، فبينا المسلمون يعدّون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم فأمَّهم»[٦٩] إلَّا أنَّ هذا الحديث لا يقوى على معارضة الأحاديث الكثيرة الصحيحة التي أكَّدت على أنَّ الذي يصلِّي بالمسلمين إمامٌ منهم، حسب تعبير صَحِيحَي البخاري ومسلم «إمامكم منكم»[٧٠]، والذي صرَّحت أخبار كثيرة بأنَّ هذا الإمام هو الإمام المهدي.

الموقف الثالث: ذهب إلى أنَّ عيسى يأتمُّ بالإمام المهدي في الصَّلاة الأولى، ثمّ يستلم الإمامة، فيصلّي خلفه الإمام المهدي.

---

٦٩. شرح المقاصد في علم الكلام - التفتازاني - ج ٢ ص ٣٠٨.

٧٠. صحيح البخاري - البخاري - ج ٤ ص ١٤٣.
صحيح مسلم - مسلم النيسابوري - ج ١ ص ٩٤.

وهذا الموقف لا يملك دليلًا من خبرٍ أو أثرٍ، وإنّما هو مجرَّد اجتهاد لا مستند له.

وخلاصة القول: إنَّ نبيَّ الله عيسى بن مريم ينزل في آخر الزّمان، ويكون داعمًا لحركة الإمام المهدي، ومؤيِّدًا له.[٧١]

قيام الدولة الإسلاميَّة الكبرى

وأهم خصائص دولة الإمام المهدي:

١- العالمية.

ونعني بالعالمية:

أ- قيام الحكومة الإسلامية العالمية بقيادة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

ب- انتشار الإسلام في العالم.

وقد أكدت هذه الحقيقة عدة نصوص:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يتحدث عن دولة الإمام المهدي عليه السلام: «...ولا يكون ملك إلَّا الإسلام».[٧٢]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام مشيرًا إلى عصر الإمام المهدي عليه السلام: «حتى لا يبقى قرية إلَّا ونودي فيها بشهادة أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا صلى الله عليه وآله رسول الله بكرة وعشيًّا».[٧٣]

---

٧١. التاريخ: ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٩م، الموافق: ٩ ذو القعدة ١٤٣٠هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ٢٠٩، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

٧٢. الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ١٧٣.

٧٣. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ ص ٦٠.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قام القائم [المهدي] لا تبقى أرض إلَّا نُودي فيها شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله».[٧٤]

٢- انتشار العدل والأمن في الأرض.

قال صلى الله عليه وآله: «فيبعث الله رجلًا من عترتي أهل بيتي، فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا».[٧٥]

وقال صلى الله عليه وآله: «أبشروا بالمهدي - قالها ثلاثًا -، فإنه يأتي في آخر الزمان على شدة وزلازل يسع الله له الأرض عدلًا وقسطًا».[٧٦]

وقال صلى الله عليه وآله: «المهدي من وِلدي، تكون له غَيْبَة إذا ظهر يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا».[٧٧]

٣- الرخاء وظهور البركات والخيرات.

قال صلى الله عليه وآله: «ينزل بأمَّتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم، لم يُسمع بلاء أشد منه، حتى تضيق عنهم الأرض الرحبة، وحتى تملأ الأرض جورًا وظلما، لا يجد المؤمن ملجأ يلتجئ إليه من الظلم، فيبعث الله عز وجل رجلًا من عترتي، فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا يرضى عنه ساكن السماء، وساكن الأرض، لا تدخر الأرض من بذرها شيئًا إلَّا أخرجته، ولا السماء من قَطْرها شيئًا إلَّا صبَّه الله عليهم مدرارًا، يعيش فيهم سبع سنين، أو ثمان، أو تسع، تتمنى الأحياء الأموات ممَّا صنع الله عز وجل بأهل الأرض من خيره».[٧٨]

---

٧٤. المصدر نفسه: ج ٦٥ ص ٢٣١.

٧٥. المصدر نفسه: ج ٥١ ص ١٠٤.

٧٦. دلائل الإمامة - محمد بن جرير الطبري - ص ٤٦٧.

٧٧. شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي - ج ١٣ ص ٣٠٣.

٧٨. المستدرك - الحاكم النيسابوري - ج ٤ ص ٤٦٥.

(٤) تكامل العقول، وانتشار الثقافة والعلم.

عـن الإمام الصادق عليه السلام: «وتؤتون الحكمة في زمانه - يعني الإمام المهدي - حتى أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى، وسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وآله».[٧٩]

(٥) التجسيد لسيرة الرسول صلى الله عليه وآله.

عـن الإمـام الصادق قال - ويتحدث عن الإمام المهـدي -: «يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله، يهـدم مـا كان قبله كما هدم رسول الله أمـر الجاهلية، وسيتأنف الإسلام جديدًا».[٨٠]

وعـن الإمام الباقـر عليه السلام: «ثم يظهر المهـدي بمكة عند العشاء ومعـه راية رسول الله صلى الله عليه وآله، وقميصـه، وسيفه، وعلامات، ونور وبيان، فـإذا صلَّى العشاء نادى بأعلى صوتـه، يقـول: اذكّركم الله أيها النـاس، ومقامكم بين يدي ربِّكـم، فقد اتخذ الحجة، وبعث الأنبياء، وأنزل الكتاب، يأمركم أن لا تشركوا به شيئًا، وأن تحافظوا على طاعته، وطاعةَ رسوله صلى الله عليه وآله، وأن تحيوا ما أحيا القرآن، وتميتوا ما أمات، وتكونوا أعوانًا على الهـدى، ووِزْرًا علـى التقوى، فـإن الدنيا قد دنـا فناؤها وزوالها، وأذنـت بالوداع، وإني أدعوكم إلى الله، وإلى رسوله، والعمل بكتابه، وإماتة الباطل، وإحياء سُنَّته».[٨١]

اللهـمَّ، إنّا نرغـب إليك في دولةٍ كريمةٍ، تُعـز بها الإسلام وأهله، وتـذل بها النفاق وأهلـه، وتجعلنا فيها من الدعـاة إلى طاعتك والقادة إلى سبيلـك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والأخرة.[٨٢]

---

٧٩. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٤٥.

٨٠. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٣٦

٨١. الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - ص ١٣٧.

٨٢. التاريخ: ٢١ يونيو ٢٠٠٢ م، الموافق: ٩ ربيع الأول ٤٢٤١ هـ، المناسبة: تنصيب الإمام المهدي عليه السلام للخلافة، المكان: أبو صيبع، الساحة قرب المأتم الوسطي.

حصار قضيَّة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

أوَّلًا: الحصار السِّياسي

إنَّ قضيــة الإمــام المنتظر واجهت حصارًا صعبًا عبر التاريــخ، ولا زالت تواجه هذا الحصار، ومن أبر أشكال الحصار، الحصار السياسي.

فالأنظمــة الحاكمــة عــبر التاريخ كانت تحــارب فكــرة (الإمام المنتظــر)، وكانت تحاصرها معتمدة كل الأساليب.

لماذا حاربت الأنظمة السياسية الحاكمة قضية الإمام المهدي المنتظر؟

إنَّ قضيــة الإمــام المنتظر تشكل (المشــروع المناهض) لكلِّ أنظمــة الحكم المستبدة والظالمــة والفاســدة، «لأنَّــه يملأ الأرض قسطًا وعــدلًا كما ملئت ظلمًا وجــورًا»، كما أنَّ ثقافة الانتظار تشكل ثقافة الرفض.[٨٣]

ثانيًا: الحصار الفكري والثقافي

واجهــت قضيــة الإمام المهدي المنتظــر حصارًا فكريًّــا وثقافيًّا متنوِّعًــا، ومن أبرز أشكال التَّصدِّي الفكري والثقافي لهذه القضية:

أ- محــاولات الإنكار لمسألة الإمام المنتظر، هذه المحاولات اتجهت إلى إلغاء الفكرة من أساسها، ورفض الاعتراف بها، وإنكار وجودها ضمن منظومة المفاهيم الإسلامية، واعتبارها فكرة دخيلة.

---

٨٣. التاريخ: ٢٣ أغسطس ٢٠٠٨ م، الموافق: ١٠ شعبان ١٤٢٨هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ١٥٢، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

هـذه المحاولات فشلـت، لأنَّها لا تحمل سنـدًا علميًّا، ولا أنهـا اصطدمت بكم هائل مـن الروايات والأحاديـث المدونة في أهميـة مصادر المسلمـين السنـة والشيعية والتي أكَّـدت بكل وضوح على قضية الإمام المهدي مـن آل محمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، الذي يظهر في آخر الزَّمان، «فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا»، وقد تصدَّى للرَّدِّ على هذه المحاولات وإبطالهـا علماء كبار من مختلف المذاهب الإسلامية، كونها قضية يؤمن بها كلُّ المسلمين إلا من شذَّ.

أصدر أحد القضاة في قطر كتابًا اسمه (لا مهدي منتظر بعد الرَّسول سيِّد البشر)، حـاول فيه إنكار الأحاديـث الثابتة حول المهدي المنتظر، وقد تصـدَّى لهذا الكتاب أحد أساتـذة الجامعـة الإسلامية في المدينة المنـورة، فأصدر كتابًا بعنـوان: (الرد على من كذَّب المهدي المنتظر).

إذًا، محاولات التشكيك والإنكار لمسألة الإمام المهدي المنتظر لا تجد أرضية مقبولة لا في الأوساط السنيَّة، ولا في الأوساط الشيعيَّة.

ب- ومـن أشكال التَّصـدِّي الفكري والثقافي محاولات التحريـف للفكرة، وتشويش الصـورة الصحيحـة لها، هـذه المحاولة انطلقت بعـد فشل المحاولـة الأولى، فالأعداد الهائلـة من الروايـات والأحاديث لا يمكن إلغاءها أو تجاوزها، فـلا بدَّ من أسلوب آخر وهـو الالتفاف حول القضية، والانحراف بها عن مسارهـا الصحيح، واطرح هنا بعض الأمثلة لهذه المحاولات:

المثال الأول: إضافات تدليسيَّة

لقـد تواتـر عن رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قوله: «المهدي مـن ولدي، اسمـه اسمي، وكنيته كنيتي».[٨٤]

٨٤. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٢٨٧.

هـذا ما أكدته مصـادر الحديث المعتمدة عنـد المسلمين بكل فرقهـم، وهنا جاءت محـاولات الدس والتحريف، فأضافت للحديث بعض كلمات بهدف التشويش والإرباك، فوجدنـا من يروي الحديث على النحو التالي: عـن الفضل بن دكين، قال: حدثنا فطر، عـن زر، عن عبد الله قـال: «قال رسول الله (صلَّى الله عليه [وآلـه] وسلَّم): «لا تذهب الدُّنيا حتى يبعث الله رجلًا من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي».[٨٥]

وفـق هـذه الصيغة المزوَّرة يكـون اسم المهدي «محمد بن عبـد الله»، وليس «محمد بـن الحسن»، وقد ناقش رجـال الجرح والتعديل من أئمة الحديث هذه الصيغة، وأثبتوا زيفها وكذبها، وأنها تتعارض مع الصيغة الصحيحة المشهورة، وهي خالية من الإضافة التدليسية.

المثال الثاني: وفق الروايات الصحيحة والمتواترة أنَّ الإمام المهدي المنتظر من ذريَّة الإمام الحسين.

هنـا جاءت محـاولات التحريف؛ لتؤكـد أنَّ الإمام المهدي المنتظر مـن ذرية الإمام الحسـن، وليس من ذرية الإمـام الحسين، ومن أطرف التعليقـات التي ساقها البعض؛ لتأكيـد هـذا الادعاء: بأنَّ الإمام الحسـن تنازل عن الخلافة، فعوضـه الله تعالى، بأن جعـل المهدي المنتظر مـن ذريته، أمَّا الإمام الحسين، فقـد طالب بالخلافة، فحُرم من هذا العطاء!

---

٨٥. المصنف - ابـن ابـي شيبـة - ج٨ - صـ ٦٧٨ - ح ١٩٣ - الطبعـة الأولى - سنـة الطبـع: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - الناشـر: دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

وكذا ما:

أ- عـن زر، عـن عبـد الله، قال: قـال رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم): «لا تقوم السـاعـة حتى يملك الناس رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي».

صحيح ابن حبان - ابن حبان - ج١٥ - ص ٢٣٦ - الطبعة الثانية - سنة الطبع: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م - مؤسسة الرسالة.

ب- عن ابن مسعود: «المهدي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي».

كنز العمال - المتقي الهندي - ج١٤ - ص ٢٦٨ - ح ٣٨٦٧٨ - سنة الطبع: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

هذا الكلام تخرُّص بلا دليل، ولا يحتاج إلى مناقشة.

المثال الثالث: الادِّعاء بأنَّ الإمام المنتظر شخصية تولد في آخر الزمان، وليس هو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، أي ليس هو (محمد بن الحسن) الذي وُلد سنة (٢٥٥ للهجرة) كما يعتقد بذلك الشيعة الإمامية.

ولعل هذه الاتجاه هو الذي هيمن عل الذهنية السنية، وأصبح من المسلَّمات عندهم!

ولعلمائنا دراسات موسعة ومعمَّقة ناقشت هذا الاتجاه، وأثبتت بالأدلة والبراهين القاطعة ولادة الإمام المهدي وغَيْبَتَه، كما ناقشت كلَّ الإشكالات المثارة حول عقيدة الغَيْبَة والانتظار، ولنا في ذلك دراسة مفصَّلة بعنوان: (الإمام المهدي .. قراءة في الإشكاليات).

ج. ومن أشكال التصدي الفكري إثارة الإشكالات والشُّبهات:

- إشكال الغَيْبَة.
- إشكال العمر الطَّويل.
- إشكال الانتظار.
- إشكالات أخرى.[٨٦]

٨٦. التاريخ: ٣٠ أغسطس ٢٠٠٧ م، الموافق: ١٧ شعبان ١٤٢٨هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ١٥٣، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

الفصل السَّادس

مسائل وردود

المسألة الأولى: عقيدة المهدي المنتظر هل هي بدعة شيعيَّة؟

يحـاول بعض الكتَّـاب أنْ يتهم الشيعة بأنهـم وراء فكرة المهدي المنتظـر، فبعد أنْ عاشوا تاريخًا من الظلم والاضطهاد، أرادوا أن يخفِّفوا من معاناتهم، فوضعوا لأنفسهم هذه الفكرة.

- قـال أحمد أمين في كتاب (ضحى الإسلام): «ففـي نظري أنَّها - فكرة المهدي - نبعت من الشيعة، وكانوا البادئين باختراعها».[١]

- وقـال عبـد الله بن زيد المحمـود في كتابه (لا مهـدي ينتظـر): «وإنَّ أصل - من تبنـى - هذه الفكـرة - يعني فكرة المهـدي المنتظر -، والعقيدة هـم الشيعة الذين مـن عقائدهم الإيمان بالإمـام الغائب المنتظَر، الذي يمـلأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا».[٢]

- وقال أحمد الحوفي في كتابه: (أدب السياسية في العصر الأموي): «هذه العقيدة - يعني المهدوية - عاصرت الشيعة منذ فجرهم الأول، وجعلت تتمشَّى مع فرقهم».[٣]

- وفي نفس السياق قال: «ذلك لأن الشيعة أقاموا العقيدة في المهدي المنتظر دعامة من دعائم مذهبهم».[٤]

- وقـال محمد أبو زهرة في كتابـه (الإمام الصَّادق): «وفكـرة المنتظر قالها أكثر الشيعة على اختلاف فرقهم».[٥]

---

١. ضحى الإسلام - أحمد أمين - ج٣ - ص ٢٤١.
٢. لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر - عبد الله بن زيد المحمود - ص ٣.
٣. أدب السياسة في العصر الأموي - أحمد الحوفي - ص ٧٠.
٤. المصدر نفسه.
٥. الإمام الصَّادق - محمد أبو زهرة - ص ٢٣٨.

- وجاء في الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة: «غير أنَّ معظم الباحثين يذهبون إلى أنَّ - المهدي - غير موجود أصلًا، وأنه من اختراعات الشيعة»![٦]

ولنا حول هذه الكلمات مجموعة ملاحظات:

الملاحظة الأولى: فكرة «المهدي» الذي يظهر في أخر الزمان، فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا فكرة يؤمن بها كلُّ المسلمين إلَّا مَن شذَّ منهم.

قال ابن خلدون في مقدمته: «اعلم أنَّ في المشهور بين الكافَّة من أهل الإسلام على ممر الأعصار أنه لا بدَّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيِّد الدِّين، ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى بالمهدي».[٧]

فواضح كل الوضوح من عبارة ابن خلدون أنَّ فكرة (المهدي) من الأفكار المشتهرة بين كافة المسلمين، وليست خاصة بالشيعة فقط، فهل يصح اعتبارها من اختراعات الذهنية الشيعية؟!

الملاحظة الثانية: هذه الكلمات التي تتَّهم الشيعة باختلاق فكرة (المهدي) كلمات ظالمة غير منصفة، ولا تحمل أدنى مستويات الموضوعية والنزاهة والصدق، بل هي محض افتراء وكذب.

إنَّ فكرة (الإمام المهدي) مستسقاة من الأحاديث الصحيحة المتواترة الصادرة عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وقد روى هذه الأحاديث عدد كبير من أهل البيت، ومن الصحابة، والتابعين، وممَّن روى ذلك:

---

٦. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة - ص ٣٠٠.

٧. تاريخ ابن خلدون - ابن خلدون - ج ١ ص ٣١١.

- الإمام علي بن أبي طالب.
- الإمام الحسن بن الحسين.
- الإمام الحسين بن علي.
- فاطمة الزهراء بنت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .
- أم سلمه زوج النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .
- عائشة زوج النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .
- عبد الله بن مسعود.
- أبو سعيد الخدري.
- أبو هريرة.
- عبد الله بن عباس.
- جابر بن عبد الله الأنصاري.
- أنس بن مالك.
- عبد الرحمن بن عوف.
- حذيفة اليمان.
- أبو أيوب الأنصاري.
- عمار بن ياسر.
- عمران بن حصين.
- وغيرهم كثير.

فبالله عليكم هل أنَّ قضية (الإمام المهدي)، والتي روى أحاديثها أجلَّاء الصحابة، تكون من مفتريات واختراعات الشيعة؟

الملاحظة الثالثة: ولَمن يتَّهم هذه الأحاديث بأنها من اختلاق الشيعة، نضع أمامه بعض المصادر التي دوَنت أحاديث الإمام المهدي، وهي من أهم مصادر المعتمدة لدى علماء السُّنَّة، ومصنفوها من أجلَّاء رجال الحديث المعتمدين عندهم، أكتفي بهذه النماذج، كون المقام لا يسمح بأكثر من ذلك:

١- سنن ابن ماجه (أحد الصحاح الستة).

٢- سنن أبي داود (أحد الصحاح الستة).

٣- سنن الترمذي (أحد الصحاح الستة).

٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل (أحد الصحاح الستة).

٥- المعجم الكبير للطبرسي (أحد المصادر المعتمدة).

٦- المصنف لابن أبي شيبة (أحد المصادر المعتمدة).

٧- وهناك عشرات المصادر السنية التي دونت أحاديث المهدي، وقد صرح عدد كبير من رجال الحديث بصحتها، بل بتواترها، فهل يصح أن يدعي مدَّعٍ أنها من وضع الشيعة؟

الملاحظة الرابعة: لقد ألَّف عدد كبير من علماء السنة المعروفين كُتبًا خاصَّة بالإمام المهدي،

اذكر؛ للاستشهاد فقط:

١- الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي ألَّف رسالة خاصة بـ«الإمام المهدي» أسماها: «العرف الوردي في أخبار المهدي».

٢- الحافظ يحيى بن يوسف ألَّف كتابًا أسماه: «عقد الدرر في أخبار المنتظَر».

٣- الحافظ الكنجي الشافعي ألَّف كتابًا أسماه: «البيان في أخبار صاحب الزمان».

٤- شهاب الدين الحلواني له منظومة معروفه أسماها: (القطر الشهدي في أوصاف المهدي).

٥- ابن الصديق المغربي ألَّف كتابًا أسماه: (المهدي المنتظَر)، وله عدَّة كُتب أخرى يدافع فيها عن أحاديث الإمام المهدي.

٦- شيخ الأزهر محمد الخضر له مقال بعنوان: «نظرة في أحاديث المهدي»، نُشر في مجلة (التمدن الإسلامي)، وقد صحح الكثير منها.

٧- الشيخ ناصر الدين الألباني له مقال بعنوان: (حول المهدي) نُشر في مجلة (التمدن الإسلامي).

٨- الأستاذ عبد المحسن العباد - عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - له محاضرة نشرت في مجلة الجامعة بعنوان: (عقيدة أهل السُّنَّة والأثر في المهدي المنتظَر).

٩- الأستاذ عبد المحسن العباد له كتاب بعنوان: (الرد على من كذَّب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي).

١٠- محمد بن أحمد بن إسماعيل ألَّف كتابًا أسماه: (المهدي حقيقة لا خرافة).[٨]

٨. التاريخ: ١٥ مايو ٢٠٠٦ م، الموافق: ١٤ ربيع الآخر ١٤٢٧ هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ١١٦، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

المسألة الثّانية: إنَّ قَتَلَة الإمام الحسين، قد انتهوا في التاريخ، فهل يقتل الإمام المهدي الأبناء بجرم الأجداد؟

صحيح أنَّ الذين باشروا قتل الإمام الحسين، قد انتهوا في التاريخ، والأجيال الجديدة لم تُشارك في القتل، إلَّا أنَّ هذه الأجيال شكلَّت امتدادًا لأولئك القَتَلة، ومثَّلوا خطَّهم، وساروا على نهجهم، وباركوا أعمالهم، فهم راضون كلَّ الرِّضى بأفعال أولئك الجُناة القَتَلة، ويتمنَّون لو كانوا معهم لمارسوا ما يمارسون.

كما أنَّهم يمارسون فعلًا الظلم والقتل وسفك الدماء مع كلِّ السائرين في خطِّ الإمام الحسين، فهم الممثِّلون الحقيقيُّون لأولئك القَتَلة التاريخيين.

فخطُّ الحسين يتحرَّك في التاريخ، وخطُّ يزيد وقَتَلَة الحسين يتحرّك في التاريخ، فالتصدِّي لهؤلاء الظَّلمة والقَتَلة يُشكِّل انتصارًا لخطِّ الإمام الحسين، وثأرًا لخطِّ الإمام الحسين، والذي يعني انتصارًا لخطِّ الإسلام، وثأرًا لكلِّ الدماء التي أُريقت ظلمًا عبر التاريخ.

وهكذا يتمُّ تصفية كلِّ المناوئين لحركة الإمام المهدي في العراق من السفيانيِّين وأتباعهم، ومن كلِّ القِوى المنحرفة عن الإسلام.

وتُشير إلى بعض الأخبار، بأنّ الإمام المهدي يقتل جماعة ينتحلون الولاء الكاذب لخط الأئمَّة من أهل البيت، فقد جاء في بعض الروايات إذا قام القائم بدأ بكذَّابي الشيعة![٩]

فما المقصود بكذِّابي الشيعة؟

لعلَّهم جماعةٌ ينتسبون للتَّشيُّع كذبًا وزورًا، أو أنّهم منحرفون في أفكارهم وسلوكهم وممارساتهم، ويبقون مصرِّين على هذا الانحراف الفكري أو السلوكي.

---

٩. عن المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لو قام قائمنا بدأ بكذابي الشيعة فقتلهم». اختيار معرفة الرجال - الشيخ الطوسي - ج ٢ ص ٥٨٩.

المسألة الثالثة: ما الحكمة من نزول عيسى في عصر الإمام المهدي؟

أجمع المسلمون على نزول روح الله عيسى بن مريم عليه السلام في آخر الزَّمان.

والأخبار في نزوله على طوائف:

الطَّائفة الأولى: تتحدّث عن نزول عيسى بين المسلمين، وعن دوره حينما ينزل، من دون إشارةٍ إلى الإمام المهدي، أو إمام المسلمين.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجِزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد».[١٠]

وفي حديثٍ آخر عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ينزل عيسى بن مريم، فيقتل الخنزير، ويمحو الصَّليب، وتجمع له الصَّلاة، ويعطى المال حتى لا يقبل، ويضع الخراج ...».[١١]

وأخبار أخرى بهذا المضمون.

الطائفة الثانية: تتحدَّث عن نزول عيسى بين المسلمين، وتُشير - هذه الطائفة - إلى إمام المسلمين يؤمئذٍ دون أن تُسمّيه، ودون أن تذكر صلاة عيسى خلف إمام المسلمين.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم).[١٢] رواه البخاري، ومسلم، وآخرون.

وبهذا المضمون عدَّة أخبار.

---

١٠. صحيح مسلم - مسلم النيسابوري - ج ١ ص ٩٣.
١١. مسند احمد - احمد بن حنبل - ج ٢ ص ٢٩٠.
١٢. صحيح البخاري - البخاري - ج ٤ ص ١٤٣.
صحيح مسلم - مسلم النيسابوري - ج ١ ص ٩٤.

الطائفة الثالثة: تتحدَّث عن نزول عيسى بين المسلمين، وصلاته خلف إمام المسلمين، أو أميرهم دون أن تُصرِّح باسم هذا الإمام، أو هذا الأمير.

في حديثٍ جاء فيه: «...، فينزل عيسى بن مريم عند صلاة الفجر، فيقول له أمير الناس: تقدَّم يا روح الله، فصلِّ بنا، فيقول: إنَّكم معشر الأمَّة أمراء بعضكم على بعض، تقدَّم أنت فصلِّ بنا، فيتقدَّم -الأمير- فيصلِّي بهم ...».[١٣]

الطائفة الرابعة: تتحدَّث عن نزول عيسى بين المسلمين، وصلاته خَلف الإمام المهدي.

عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لا تزال طائفةٌ من أمَّتي تقاتل عن الحقّ حتى ينزل عيسى بن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس، ينزل على المهدي، فيُقال له: تقدَّم يا نبيَّ الله، فصلِّ لنا، فيقول: إنَّ هذه الأمَّة أمير بعضهم على بعض لكرامتهم على الله وَجَلَّ».[١٤]

عن حذيفة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «...، فيلتفت المهدي - وقد نزل عيسى -، فيقول المهدي: تقدَّم صلِّ بنا، فيقول عيسى: إنَّما أُقيمت الصَّلاة لك، فيصلِّي عيسى خلف رجلٍ من ولدي».[١٥]

وعن أبي سعيد الخدْري قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «منَّا الذي يُصلِّي عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَام خلفه».[١٦]

والأخبار المصرِّحة بصلاة عيسى خلف المهدي كثيرةٌ ومتضافرة.

---

١٣. الدر المنثور - جلال الدين السيوطي - ج ٢ ص ٢٤٣.

١٤. أخرج أبو عمرو الداني في «سننه» عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم): «لا تزال طائفة من أمتي تقاتل على الحق حتى ينزل عيسى بن مريم عند طلوع الفجر ببيت المقدس ينزل على المهدي، فيقول المهدي: تقدم يا نبي الله، فصلِّ بنا، فيقول: هذه الأمَّة أمراء بعضهم على بعض.» نقله كتاب شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي - ج ٢٩ ص ٣٠٥.

١٥. الحاوي للسيوطي ٢: ٨١.

١٦. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ ص ٨٤.

والجمـع بين الطوائف الأربع - وِفق قواعد الجمـع - بحمل الطوائف الثلاث الأولى على الطائفة الرابعة.

وإنْ كنَّا لا نشكَّ أنَّ حالات الإبهام والإجمال في الطوائف الثلاث الأولى جاءت بفعلٍ مقصود من قِبَل مـدوِّني الأخبار والروايات؛ من أجل تعتيم الصورة، وطمس الحقائق، وهكذا لعبت أقلام التدوين في الكثير من الأحاديث والروايات حذفًا وتغييرًا.[١٧]

المسألة الرابعة: ما هو سر الغَيبوبة السياسية للواقع الشيعي في مرحلة غياب الامام عجل الله فرجه ؟

إنَّ فكـرة الانتظـار - من المنظـور الشِّيعي - واجهت عدة إشكاليـات، من أهم هذه الإشكاليـات أن الانتظـار قد أنتج في الواقع الشيعي حالة مـن الغيبوبة السياسية، حيث جَمد هذا الانتظار المشدود إلى دولة الإمام المهدي كل الطموحات السياسية عند الشيعة في مرحلة الغَيْبَة.

وقد اعتمد أصحاب هذه الإشكالية على نمطين من المؤيدات:

النمـط الأوَّل: الأحاديـث والروايات الصـادرة عن الأئمة مـن أهل البيت عليهم السلام ، والتـي حرَّمت علـى الشيعة القيـام في مرحلة ما قبـل الطهور، تعني (عصـر الغَيْبَة)، والقيام مصطلح يعبِّر عن التحرك السياسي؛ لتسلم السُّلطة.

وعبارة: (ما قبل الظهور) تعني (عصر الغَيْبَة).

النمـط الثَّاني: الفتاوى الصادرة عن فقهاء الشيعـة بحرمة النهوض السياسي في عصر الغَيْبَة.

---

١٧. التاريخ: ٣ نوفمبر ٢٠٠٩ م، الموافق: ١٦ ذي القعدة ١٤٣٠هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ١١٠، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

ولنا حول هذه الإشكالية عدة ملاحظات:

الملاحظة الأولى: أنْ نتَّهِم الواقع الشيعي بأنه عاش غيبوبة سياسيَّة في كل مراحله التاريخية، أمر ليس فيه دقَّة علميَّة، لا ننفي أنَّ «الغياب السياسي» هيمن على هذا الواقع في مقاطع ممتدة من تاريخه، ولكن تعميم الحكم لكل مقاطع التاريخ فيه تجنٍّ على هذا الواقع.

إنَّ القراءة التاريخية لحركة الواقع الشيعي من البدايات الأولى لعصر الغَيْبَة الكبرى يمكن أن ترصد مستويات كبيرة؛ للتعاطي السياسي عند الشيعة.

نعم في بدايات الغَيْبَة واجه الواقع الشيعي مرحلة جديدة بكل ما تحتضنه هذه المرحلة من متغيرات صعبة ومعقدة بفعل الغياب الكامل (للقيادة المعصومة) الأمر الذي لم يكن مألوفًا لدى أتباع مدرسة الإمامة، وقد شكَّل هذا الوضع الجديد بعض الإحراجات الحادة في الذهنية الشيعية ممَّا فرض ارتباكًا في التعاطي مع الكثير من معطيات الواقع، وبالخصوص «الواقع السياسي»، ولا سيما بعد تاريخ كبير من «العزل السياسي» للائمَّة من أهل البيت عليهم السلام.

في هذه المرحلة كان هناك انحسار سياسيٌّ واضح، ليس على مستوى الممارسة والسلوك فحسب، بل على مستوى «الرؤية والفهم الفقهي».

وقد شهدت المدرسة الفقهية الشيعية جدلًا حادًّا فيمَ هي «المسؤولية الشرعية» في التعاطي مع الواقع السياسي القائم.

وكان الاتِّجاه الأقوى - في تلك المرحلة - النفي المطلق للتعاطي، مما فرض ضمورًا سياسيًّا في الواقع الشيعي كان له مردوداته الخطيرة، إلَّا أنَّ المراحل اللاحقة شهدت محاولات من الانفتاح السياسي، عبَّرت عن رؤيةٍ فقهيَّةٍ جديدةٍ ذات منحى واقعي تجاوز الرؤية التقليدية المألوفة.

ومـن أوضح هذه المحاولات في تلك المرحلة المبكرة من عصر الغَيْبَة، محاولة السَّيِّد المرتضـى (٣٥٥ - ٤٣٥ هـ) حيث أقـام علاقة وثيقة مـع السُّلطة السياسيَّـة القائمة، وأكَّـد في رؤيتـهِ الفقهية على ضـرورة التعاطي مع الواقـع السياسي ما دامـت السُّلطة الشرعيـة - حكومة المعصوم - غائبة، وما دام الواقع الشيعي يعيش حالة القهر، وشهد الواقع الشيعي وعبر فترات من تاريخه محاولات متعدِّدةٍ للانفتاح السياسي، والمعارضة السياسية، والقرن الأخير يحمل شواهد كثيرة تؤكد الدور السياسي الكبير الذي مارسه علماء الشيعة، وأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

الملاحظـة الثانية: ليـس صحيحًا ما تثـيره الإشكالية من أنَّ الغيـاب السياسي في الواقـع الشيعـي كان مـن نتاج العقـل الانتظاري الذي تشـكَّل في وعـي الأمَّة من خلال النصوص والأحاديث.

هناك مجموعة أسباب لهذا الغياب السياسي.

السبب الأول: الفهم الخاطئ لمسألة الانتظار.

هناك عدة رؤى وتصورات خاطئة ومغلوطة للانتظار.

التصور الأول: يفهم الانتظار فهمًا روحيًّا بحتًا، (الأدعية، الهيام الوجداني بالإمام، التضرع والبكاء، الإلحاح على الله تعالى بتعجيل الفَرَج، الزِّيارات، الندبة، الاستغاثة).

لا نشـك أن التعاطي الروحي هـو أحد المكوّنات الأساسيَّة للانتظـار، أما أن يتحول هذا الانصهار الروحي إلى الانتظار كله، فهو تصور يعبّر عن فهم تجزيئي له مردوداته السلبية الخطيرة (الشلل والاسترخاء).

التصور الثاني: يفهم الانتظار فهمًا راكدًا تعطيليًّا، ويتمثل هذا الفهم في:

- تعطيل المسؤوليات الرساليَّة والتغيرية في عصر الغَيْبَة.

- تجميد مهمَّة الدعوة والأمر بالمعروف والتهي عن المنكر.

- اعتزال كل الفعَّاليات الاجتماعية والسياسية والجهادية.

- إرجاء ذلك كله إلى مرحلة الظهور.

التَّصور الثالث: يفهم الانتظار فهمًا منحرفًا، ويصوغ هذا التصور فهمه للانتظار على أساس الشرط الموضوعي لظهور الإمام المهدي هو امتلاء الأرض بالمفاسد والمظالم والانحرافات، فأيُّ محاولة تتحرك؛ لانعاش الواقع الانحرافي تشكِّل مساهمة في توفير الشرط الموضوعي للظهور، وأي محاولة تواجه حركة الانحراف تشكِّل مساهمة في تأجيل الظهور.

وهذه التصورات مرفوضة:

أولًا: هذه الألوان من الفهم الخاطئ والمحرَّف هي أحد الأسباب التي أعطت أولئك الموتورين بعض مبرراتهم فيما أثاروه من الإشكالات والشبهات، وكثيرًا ما يتذرع القاصدون؛ لتزيف الأفكار والمفاهيم بالتطبيقات الخاطئة والممارسات المغلوطة بهدف التشويش والتمويه وإثارة الغبار، ألَا نسمع في هذه الأيام الأصوات المذعورة من الدين، تحذِّر من تسيس الدِّين، وتديُّن السِّياسة؟!

قال أحدهم بالحرف الواحد في إحدى صحفنا المحليَّة: (مبكرًا حذَّرنا من خطورة تسيس الدِّين وتديُّن السياسة)!

لماذا هذا التحذير؟

إنَّهم يقولون: إنَّ ما يشهده العالم اليوم من تطرف وعنف وإرهاب هو نتاج هذا التَّسيس للدِّين والتَّدين للسياسة.

لا نريد هنا أن ندخل في جدل مع هذه المقولات التي هي جزء من الإعلام المستنفر؛ لمحاربة الصحوة الإسلامية.

إننا لا ننفي وجود العنف والتطرف والإرهاب في العالم، ولا ننفي وجود بعض

الحـركات المنتسبة إلى الدِّين تمارس العنف والتطرف والإرهاب، ولكن لماذا لا يتحدث هـؤلاء عـن الإرهـاب والعنف ضـد الشعـوب المستضعفة الـذي تمارسه قـوى الهيمنة والاستكبار في العالم؟

لمـاذا لا يتحدثـون عن إرهـاب، وعنف الأنظمـة السياسيـة المتحكمـة في مقدرات الشعوب؟

لماذا لا يتحدثون عن إرهاب، وعنف وتطرف التيارات العلمانية المتشددة في مواجهة الدين والمتدينين؟

لمـاذا هـذا الإصرار على اتِّهام الديـن - والدين الإسلامـي بالخصوص - أنه وراء طاهرة العنف والإرهاب والتطرف؟

إنَّ تشـكُّل بعضـ الانتسابات إلى الديـن، وأن تشكل بعض التجـارب المحسوبة على الدين هنا أو هناك بعض من ظواهر العنف والإرهاب والتطرف، لا يعني أن يتهم الدين نفسـه، أو يتهم المشروع الإسلامـي، أو يتهم الإسلام السياسـي، وإلا فتجارب الأنظمة السياسيـة العلمانيـة التي أقصت الدين بعيدًا عن مواقع الحكـم والسُّلطة والحياة، قد أنتجت من المآسي والكوارث والآلام للإنسان والإنسانية ما تشهد به ملفات هذه الأنظمة.

ثم لماذا هذا الخلط المتعمد بين حالات العنف والإرهاب والتطرف، وحالات الجهاد والمقاومة، والدفاع عن الأرض والمقدسات؟

إنَّـه مشروع المصادرة والاستلاب في مواجهـة الإسلام والمسلمين، ومشروع الهيمنة والسيطرة على العالم.

هذا أولًا في سياق مناقشة التصورات الخاطئة للانتظار.

ثانيًا: هذه التصورات المغلوطة تشكَّلت بفعل جهل متجبر أنتجته غيبوبة الوعي عند الأمَّة، وربما بفعل رؤية فقهية ساهمت في تكريس الفهم السكوني للانتظار، وقد تورطت

هذه الرؤية بمعالجة فقهية غير دقيقة اعتمدت بعض الروايات المخدوشة سندًا أو دلالةً.

ثالثًا: هذه الألوان من الفهم تفرغ الانتظار من مضمونه الأصيل، بما يحمله هذا المضمون من الفاعلية والحركية والهادفية.

رابعًا: هذا الفهم المغلوط للانتظار قد تغذيه بعض الاتجاهات المنحرفة عن الإسلام، أو الاتجاهات المتخلفة عن الإسلام.

الخلاصة

إنَّ هذه التصورات المغلوطة والمنحرفة للانتظار قد أنتجت شللًا حركيًّا في الأمَّة، وألغت في وعيها المشروع السياسي الطموح، وأقصت الإسلام بعيدًا عن واقع الحياة، ووفَّرت الأجواء الملائمة لهيمنة المبادئ الكافرة والمنحرفة سياسيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا.

الحديث هنا عن أسباب الغياب السياسي، وقد ذكرنا أنَّ السبب الأول هو الفهم الخاطئ والمغلوط لمسألة الانتظار.

السبب الثاني: لهذا الغياب هو الظروف السياسية الضاغطة التي مر بها الواقع الشيعي.

وقد شكلت هذه الظروف حصارًا سياسيًّا صعبًا، واختناقًا اجتماعيًّا حادًّا، مما أنتج في الواقع الشيعي انكماشًا داتيًّا، وكان من معطياته وأثاره هذا الانحسار السياسي والاجتماعي، وقد صاغ هذا الانحسار وعيًا فقهيًّا شيعيًّا منصبغًا بالنزعة الفردية - كما نقرأ في النتاجات الفقهية الشيعية -.

السبب الثالث: وجود قناعةٍ فقهيةٍ عند عددٍ كبيرٍ من الفقهاء بعدم جدوى العمل السياسي؛ لعدم إمكانية توفير الشروط الموضوعية لنجاح الممارسة السياسية في الوصول الى أهدافها المنشودة.

الملاحظة الثالثة: - في سياق نقد الإشكالية التي تتهم الانتظار بأنه وراء تجميد الفعل التغييري السياسي والاجتماعي - تتَّصل بمجموعة الروايات التي حرمت على الشيعة القيام، بمعنى التَّحرُّك السياسي في مرحلة ما قبل الظهور، يعني في عصر الغَيْبَة.

ولا شك أنَّ حديثًا في احتفال جماهيري، لا يتحمَّل (المعالجات الفقهية) لهذه الرِّوايات، ولكننا يمكننا أن نقول:

أولًا: إنَّ طائفة من هذه الروايات لا تملك قيمة سنديَّة تبرِّر الاعتماد عليها، فلا يصح أن تؤسس لحكم شرعي بمستوى هذه الخطورة.

ثانيًا: إنَّ بعض هذه الروايات تتحدث عن دائرة خاصة للتَّصدِّي السياسي، وهو تصدِّي الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام، ولا شك أنَّ الأئمة عليهم السلام فيما هو موقعهم الفكريّ والروحيّ والقياديّ لهم حساباتهم المتميزة في شكل الحركة والمواجهة والتصدِّي، والتي تختلف تمامًا عن بقية المواقع في الأمَّة.

وربما كان هذا النمط من الروايات تشكّل إجابات صادرة عن الأئمة في الرد على بعض الرؤى المرتجلة التي تحاول أن تضغط على الأئمَّة عليهم السلام في اتجاه التصدي والمواجهة والنهوض والثورة.

ثالثًا: بعض الروايات تعالج واقعًا موضوعيًّا فيما هي النتائج المترتبة على التحرك السياسي، وليست في صدد الحديث عن مشروعية التحرك، أو عدمه.

فالأئمَّة من خلال رؤية غَيْبِيَّة، أو من خلال بصيرة سياسيَّة معصومة أعطوا هذه التقويمات الواقعية الراصدة لكل النتائج وفق حسابات صائبة جدًّا، وقد برهنت على صحة هذه الحسابات تلك التجارب المتعددة في التصدِّي السياسي والتي مارسها الثوار العلويُّون وغيرهم في ذلك المقطع من مراحل التاريخ، وكان مصيرها الفشل والإخفاق.

ما نحاول أن نصل إليه في هذه الجولة من الحديث أنَّ اتِّهام فكرة الانتظار بأنها

السبب في إنتاج حالة الغياب السياسي في الواقع الشيعي عبر مراحل التاريخ المتعددة، أمرٌ لا واقع له من الصحة، وكون الانتظار في مفهومه الخاطئ ساهم في تكريس هذا الغياب لا يعني أنَّ الفكرة في مضمونها الأصيل تتحمل مسؤولية هذا الغياب والانحسار، وإلا فما أكثر التطبيقات الخاطئة لعدد كبير من الأفكار والمفاهيم والقِيم ممَّا ينتج عنها الكثير من السلبيات، فهل من حقٍّنا أنْ نتهم تلك الأفكار والمفاهيم والقِيم؟

ثم إنَّ الانتظار إذا مارسته الأمَّة ضمن مفهومه الأصيل، وتطبيقاته الواعية، فإنَّه من أكبر الحوافز في تنشيط الحركة التغييرية في امتداداتها الفكرية والروحية والاجتماعية والسياسية، كون الانتظار يفرض إعدادًا عمليًّا دائمًا، يتمثل في:

١- الإعداد الروحي.

٢- الإعداد الفكري.

٣- الإعداد السلوكي.

٤- الإعداد الرسالي.

٥- الإعداد السياسي.

٦- الإعداد الاجتماعي.

٧- الإعداد الجهادي.

فهل يصح في ضوء هذه الإعدادات أنْ نتهم الانتظار بأنه السبب في إنتاج الشلل في الواقع الشيعي أنه من خلال الانتظار في إعداداته العملية يتأصل المضمون التغييري الحركي؟

أيُّها الأحبَّة، إنَّني أدعو - وفي هذه المناسبة - أنْ نحرك مشروع الانتظار من واقع الأمَّة، ضمن صياغة واعية أصيلة ضمن برنامج عملي هادف، يتعاطى مع كلِّ مستجدات

المرحلة، وضرورات الواقع المعاصر، وأن نعطي لمشروع الانتظار حركته الفاعلة في واقعنا الثقافي والروحي والاجتماعي والسياسي.

ومشروع الانتظار ليس مشروعًا شيعيًّا.

إنَّه مشروع الإسلام في هذا العصر.

فالمسلمون جميعًا - إلا مَن شذَّ - ينتظرون المصلح في آخر الزمان المهدي من آل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «الذي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا».

هكذا أكَّدت النصوص الدينية الصحيحة المدونة في أهم مصادر الحديث عند المسلمين، وفي تصوري أنَّ مشروع الانتظار في صياغاتهِ الأصيلة الواعية يمكن أن يكون منطلقًا؛ للتأسيس العملي لحركة الوحدة في واقع الأمَّة، ولحركة المشروع الإسلامي المعاصر.

والمكونات الأساس لهذا المشروع:

١- الإسلام هو الأيديولوجية الوحيدة المؤهلة للإصلاح العالم، وإنقاذ البشرية.

٢- الإمام المهدي هو القيادة المؤهَّلة؛ للقيام بالحركة التَّغييريَّة الكبرى في العالم.

٣- الإعداد والتَّوطئة؛ للحركة التغيرية الكبرى من خلال:

أ - إعداد الكفاءات المؤهلة.

ب- إعداد الأرضية المساندة.

ج- إعداد الأجواء النفسيَّة والفكريَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة؛ لحركة الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهـذه المكونـات لا يختلـف فيهـا المسلمـون، وإنْ اختلفـوا في شخصـ الإمـام المهدي عليه السلام.[١٨]

المسألة الخامسة: لماذا يتصدى الإمام المهدي لهذه الأنظمة، ما دامت أنظمة تنتمي إلى الإسلام، وتحمل اسم الإسلام؟

الإمام المهدي عليه السلام يرى في هذه الأنظمة أنها أنظمة تنتمي إلى الإسلام إلا أنَّها:

أ- إمـا أنظمة لا تطبق الإسلام، ولا يحكمها الإسلام، وإنما تحكمها قوانين وضعيَّة بعيدة كل البعد عن أحكام الشريعة.

ب- وإمـا أن تكـون أنظمة تطبـق الإسلام تطبيقًـا محرَّفًا ومـزوَّرًا، وليس تطبيقًا حقيقيًّا.

كما أنَّ الإمام المهدي عليه السلام يرى في هذه الأنظمة بأنها أنظمة جائرة ظالمة، تصادر الكرامات والحريات، وتنشر المفاسد والانحرافات، وتحارب القِيم والفضائل، وتمارس العنف والقهر والإرهاب.

وانطلاقًـا مـن هـذا، فـإنَّ هـذه الأنظمـة نفسها سـوف تتصـدَّى لحركـة الإمام المهـدي عليه السلام، وسـوف تستخـدم في مواجهتـه كل الإمكانـات العسكريـة والأمنيـة والإعلامية.

وعندهـا تحـدث معارك طاحنة بين الإمـام المهدي وهذه الأنظمـة يكون النصر في النهاية للإمام المهدي عليه السلام.

ولعل هذه المعارك هي التي تحدثت عنها الروايات تحت عنوان: (المعارك بين الإمام المهدي والسفياني)، فالسفياني هو الذي يمثل خط الانحراف في داخل الأمَّة.

---

١٨. التاريخ: ١٣ مايو ٢٠٠٣ م، الموافق: ١٥ شعبان ١٤٢٣ هـ، المناسبة: مولد الإمام المهدي عجل الله فرجه.

إنَّـه ينتمي إلى المسلمين، ولكنـه يحمل أفكار الانحراف والضـلال، ويمارس أقسى أنـواع الظلـم والاستبـداد، ويتبنى نشـر الرذيلة والدعـارة والفجور، وجميـع الموبقات والمنكرات.

ولذلك وصفت الروايات والأحاديث السفياني:

بأنه منكم، ويحمل في عنقه صليب.

وأنه يحلل الحرام، ويبيح المنكرات.

وأنه أكثر خلق الله ظلمًا، وأشدهم شرًّا.

وأنه يبقر بطون النساء، ويقتل الصبيان.

وأنه نزع الله من قلبِه الرحمة والرأفة.

وتحدثـا الأخبـار والروايـات بـأنَّ الإمـام المهدي سـوف يخوض عـدة معارك مع السفيـاني، وجيشـ السفياني، وتكـون الغَلَبَـة في النهاية للإمام المهـدي وجيش الإمام المهدي.، ويُقتل السفياني، ويباد أتباعه وجيشه.

هـذا العنـوان - السفيـاني - هو الخط الـذي يجسِّد خطَّ الانحـراف والضلال في داخل المجتمع العربي والإسلامي، وسوف يمثل هذا الخط أنظمة، وكيانات، وتنظيمات، وأحزاب، ومؤسسات، وجمعيات، وقوى وأشخاص.

النـوع الثَّاني: مَن الأنظمة التي سوف يواجهها الإمام المهدي، ويتصدى لها، أنظمة الغرب، أو أنظمة الشرق؟

ومن الواضح أنَّ من مهمات الإمام المهدي عليه السلام هي إنهاء كل أنواع الكفر والشرك في الأرض، وإقامة دولة الإسلام والعدل في كل العالم.

جـاء في الحديـث عن رسول صلى الله عليه وآله - وهو يخبر عن الإمـام المهدي -: «يرد الله به

الدين، ويفتح له فتوحًا، فلا يبقى على وجه الأرض إلَّا مَن يقول: لا إله إلا الله».[١٩]

وفي حديث للإمام الباقر عليه السلام قال: «القائم منَّا...، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويُظهر الله عزوجل به دينه على الدين كله ولو كره المشركون».[٢٠]

وفي حديث للإمام الصادق عليه السلام قال: «إذا قام القائم - المهدي - لا تبقى أرض إلا نودي فيها شهادة أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله».[٢١]

فمن المهمات الأساس للإمام المهدي هي إنهاء كل الأنظمة الكافرة في الأرض، ولا شك أنَّ هذا الأنظمة سوف تتصدى بعنف وشراسة لحركة الإمام المهدي عليه السلام، وسوف توظف كل إمكاناتها الحربية والعسكرية والتقنية في مواجهة الإمام المهدي، وفي مواجهة جيشه، وعندها تدور معارك حامية بين الإمام المهدي وتلك الأنظمة الكافرة.

وليس بعيدًا أن يكون (الدجال) المطروح في الروايات والأخبار هو رمز لهذه الكيانات والأنظمة والقوى والاتجاهات الكافرة في العالم بكل ما تملك من أحدث الوسائل والتقنيات، والإنجازات العملية.

ولذلك وصفت الأخبار الدجال:

بأنه مكتوب بين عينه كافر يقرأه كل أمِّي وكاتب.

وأنه أعور، يبصر بإحدى عينيه، ولا يبصر بالأخرى.

وأنه لا يبقى شبر من الأرض إلا وضع قدمه فيه.

وأنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت، فتنبت.

وأنه نار ونور.

١٩. نقل عن البيان في أخبار آخر الزمان - الحافظ الگنجي الشافعي - ص ٩٠.
٢٠. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق - ص ٣٣١.
٢١. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٣٤٠.

وأنــه يتبعه اليهــود، وأولاد الزنا والمدمنــون على الخمر والمغنــون، وأصحاب اللهو، والأعراب والنساء.

فالمعارك بين الإمام المهدي والدجال، أي بين الإمام المهدي وأنظمة الكفر في العالم سوف تكون قاسية، والنصر في النهاية للإمام المهدي.

وقد أكدت الأخبار والروايات بأنَّ نبيَّ الله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام سوف ينزل في آخر الزمان، ويصلي خلف الإمام المهدي عليه السلام، ويشترك معه في قَتْل الدجال.

وقصة صلاة السيد المسيح عليه السلام خلف الإمام المهدي تدوِّنها كلُّ المصادر الحديثية المعتمدة عند المسلمين السنة والشيعة.

فقــد أخرج الإمام أبو عمرو الــداني في سننه عن حذيفة عن رسول الله (صلى الله عليــه [وآله] وسلم) قال: «فإذا كان يــوم الجمعة من صلاة الغَداة وقد أقيمت الصلاة، فالتفــت المهــدي، فإذا هو عيسى بن مريم - وقد نزل مــن السماء في ثوبين كأنما يقطر مــن رأســه الماء -، فيقول له الإمام: تقدم فصلِّ بالناســ، فيقول له عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك، فيصلِّي عيسى خلفه».[٢٢]

وأخرج ابن ماجه، والروياني، وابن خزيمة، وأبو عوانه، والحاكم، وأبو نعيم عن أبي إمامــة - وذَكَر حديثًــا جاء فيه -: «وإمامهم المهدي رجل صالــح، فبينما إمامهم تقدم يصلــي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى بن مريم، فرجع ذلك الإمام يمشي القهقرى؛ ليتقدَّم عيسى، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصلِّ، فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم ...».[٢٣]

وفي سنن أبي نعيم عن أبي حذيفة قال: قال رسول لله صلى الله عليه وآله: «يلتفت المهدي - وقد نــزل عيسى بن مريم كأنما يقطر من شعره الماء -، فيقــول المهدي: تقدَّم صلِّ بالناس،

٢٢. نقل في كتاب شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي - ج ٢٩ ص ٣٠٧.
٢٣. الحاوي للسيوطي ٢: ١٣٥.

فيقول عيسى: إنما أقيمت الصَّلاة لك، فيصلِّي خلف رجل من وِلدي».[٢٤]

وقال ابن ابي شيبة في المصنف: «المهدي من هذه الأمَّة وهو الذي يؤم عيسى بن مريم».[٢٥]

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل: عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فتقام الصلاة، فيقال له - يعني عيسى -: تقدم يا روح الله، فيقول: ليتقدم إمامكم، فليصلِّ بكم».[٢٦]

وأخرج أبو نعيم عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعالَ صلِّ بِنا، فيقول: إلا أنَّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة لهذه الأمَّة».[٢٧]

وروي السدي أنه قال: «يجتمع المهدي وعيسى بن مريم في وقت الصلاة، فيقول المهدي لعيسى: تقدم، فيقول عيسى: أنت أولى بالصلاة، فيصلِّي عيسى وراءه مأمومًا».[٢٨]

وإذا راجعنا الصحيحين (البخاري، ومسلم) - وهما أصح كتابين عند أهل السنة، فإنَّا نجدهما قد ذَكَرا حديثَ عيسى بن مريم، وصلاته خلف المهدي، إلا أنهما لا يصرحان باسم المهدي - نجد أنَّه قد جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم».[٢٩]

وقد أجمع شرَّاح (البخاري) على أن لفظة «إمامكم» الواردة في الحديث المقصود بها (المهدي).

---

٢٤. الحاوي للسيوطي ٢: ٨١.

٢٥. المصنف ١٥: ١٩٨/ ١٩٤٩٥.

٢٦. مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٦٨.

٢٧. نقلًا عن كتاب بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥١ ص ٩٣.

٢٨. نقلًا عن كتاب شرح إحقاق الحق - السيد المرعشي - ج ٢٩ ص ٣١٤.

٢٩. صحيح البخاري - البخاري - ج ٤ ص ١٤٣- صحيح مسلم - مسلم النيسابوري - ج ١ ص ٩٤.

وممَّـا يؤكد ذلـك أنَّ الحديث جـاء في مصادر أخـرى بصيغـة: «وإمامكم المهدي منكم».

وجـاء في صحيـح مسلـم بسنده عن جابر بـن عبد الله قال: سمعـت النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقـول: «لا تـزال طائفة من أمَّتـي يقاتلون على الحـق ظاهرين إلى يـوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ بنا، فيقول: لا، إنَّ بعضكم على بعض أمراء تكرمة لهذه الأمَّة».[٣٠]

نعود لطرح السؤال الذي بدأنا به:

المسـألة السادسـة: كيـف سـينتصر الإمـام المهدي فـي مواجهة الأنظمـة التي تملك أحدث وأخطر الأسـلحة المتطورة وهو لا يملك إلا السيف؟

ونجيب عن ذلك:

أولًا: توافر المناخ الملائم والظروف الموضوعية لانتصاره:

١- فشـل الأنظمة السابقة على الظهور، ممـا يهيئ العالم؛ لاستقبال حركة الإنقاذ الذي يقودها العالم.

٢- تسقط الكثير من الأيدلوجيات والنظريات قبل ظهور الإمام المهدي.

وسقوط الشيوعية أحد المؤشرات.

٣- تصاب الكيانات السياسية والعسكرية بضعف كبير يسلبها القدرة على المواجهة والتصدي للإمام عَلَيْهِ السَّلَام.

---

٣٠. صحيح مسلم - مسلم النيسابوري - ج ١ ص ٩٥.

هناك احتمال كبير جدًّا أنْ لا تبقى تلك الأنظمة تمتلك القدرات العسكرية الكبيرة، بل من الممكن أن يحدث ما يصيب الآلة الحربية بالشكل، وما يدمر ترسانة الأسلحة قبل ظهور الإمام.

ربما يتم ذلك من خلال حرب عالمية تدمر كل المعدات الحربية التي تمتلكها الدول الكبرى، وهذا ما يقلق وضع العالم المعاصر.

سُئل أحد علماء الغرب الكبار - برناردشو - عن نوع الأسلحة التي تستعمل في الحرب العالمية الثالثة، فقال ما مؤداه: «إنَّ هذا ممَّا لا أعلمه، وإنما أعلم أنه إن وقعت حرب رابعة، فسوف يكون السلاح هو العصيّ والحجارة».

وهذه الحقيقة تشير إليها بعض النصوص:

عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب ثلثا النَّاس.

فقلنا: إذا ذهب ثلثا النَّاس، فمَن يبقى؟

فقال: أما ترضون أنْ تكونوا في الثلث الباقي»؟![٣١]

وفي حديث آخر: «لا يكون هذه الأمر حتى يذهب تسعة أعشار النَّاس».[٣٢]

وأخرج ابن ماجه عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث عن أشراط الساعة: «ويذهب الرجال، ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد»![٣٣]

ثانيًا: الإمام المهدي عليه السلام ينصر بالرعب.

من الوسائل التي نصر بها الرسول صلى الله عليه وآله في معاركة مع المشركين «سلاح الرعب»!

---

٣١. الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٣٩.

٣٢. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٨٣.

٣٣. سنن ابن ماجه - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد - مصدر الكتاب: موقع وزارة الأوقاف المصرية - www.islamic-council.com .

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «نصرت بالرُّعب».[٣٤]

وكما قال الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾.[٣٥]

فما قيمة أحدث الأسلحة إذا كانت القلوب التي تحركها قلوب مرعوبة مذعورة؟!

وجاء في الحديث عن الإمام الصَّادق عَلَيْهِ السَّلَام - وهو يذكر راية القائم -: «فإذا هو قام نشرها...، ويسير الرعب قدامها شهرًا، ووراءها شهرًا، وعن يمينها شهرًا، عن يسارها شهرًا».[٣٦]

تصوَّر أنَّ شخصًا مثل الإمام الخميني - وهو واحد من جنود الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَام - قد هزَّ العالم، وأدخل الرعب في قلوب القوى الكبرى في العالم، فكيف إذا ظهر الإمام المهدي نفسه.

ثم إنَّ جيش الإمام المهدي يمتلك أضخم طاقة إيمانية ترهب أعداء الإسلام.

ماذا كان يملك الناس الذين خرجوا في الشوارع الإيرانية في مواجهة أعتى الأسلحة التي يملكها نظام الشاه، كانوا لا يملكون إلا قوة الإيمان، وكانوا لا يرددون إلا شعار: (الله أكبر)، وقد استطاع هذا الشعار أنْ يسقط عرش الطاووس.

وماذا كان يملك مقاتلو حزب الله في لبنان في مواجهة ترسانة الأسلحة الإسرائيلية، كانوا لا يملكون إلا سلاح الإيمان الذي أدخل الرعب والهلع في قلوب الجنود الصهاينة المتحصنين في جبال الجنوب والمتدرِّعين بأعقد التحصينات العسكرية، مما جعلهم يفرون كالجرذان المذعورة الهاربة من جحورها، وهكذا سقطت أسطورة الجيش الذي لا يُقهر!

---

٣٤. دعائم الإسلام - القاضي النعمان المغربي - ج ١ ص ١٢٠.

٣٥. الأحزاب: ٢٦.

٣٦. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٢٠.

ومـاذا يملك أبناء الأرض المحتلة الصامـدون في مواجهة الغطرسـة الصهيونية، والبطش الصهيوني؟

إنَّهم لا يملكون إلا سلاح الإيمان.

إنَّ نظامًـا يمثل القـوى العظمى في هذا العصر، كما هو النظـام الأمريكي، يصاب بالذعـر والرعـب لتهديدات تصدر هنا أو هناك لأكبر دليـل على أن هذا النظام يعيش الخـواء والاهتزاز في داخلـه، وأنه معرض للتهاوي والسقـوط في أي لحظة مهما تترس بأحدث أسلحة الدمار.

وإنَّ أحـداث الحادي عشر مـن سبتمبر - رغم موقفنا الرافض منها كونها طالت أرواح الأبريـاء - قـد استطاعت أن تكشف عجـز أجهزة النظـام الأمريكي، وضعفها، وانهيارها.

وكلكـم تابعتم أخبار جرثومة الجمـرة الخبيثة، وكيف استطاعـت أن تزرع الذعر والرعب في كل مفاصل النظام الأمريكي، وفي كل مؤسساته.

ثالثًا: التأييد الإلهي

١- نصرة الملائكة للإمام المهدي عليه السلام.

عـن الإمـام الباقـر عليه السلام قال: «لـو خرج قائـم آل محمـد لنصـره الله بالملائكة المسومـين والمردفين والمنزلـين والكروبيين، يكون جبرائيل أمامـه وميكائيل عن يمينه، وإسرافيل عن يساره، والرعب مسيره أمامه وخلفه، وعن يمينه وعن شماله».[٣٧]

وعنه قال: «كأني بالقائم عليه السلام على نجف الكوفة، وقد سار إليها من مكة في خمسة آلاف مـن الملائكة جبرئيل عن يمينـه، وميكائيل عن شماله، والمؤمنـون بين يديه، وهو يفرق الجنود في البلاد».[٣٨]

٣٧. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٣٩.
٣٨. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٣٣٧.

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام أنَّ الإمام المهدي «... يؤيده الله بثلاثة أجناد: بالملائكة، وبالمؤمنين، وبالرُّعب».[٣٩]

٢- نصرة الإمام ببعض القوى الكونية (الريح، العاصفة، الطوفان، الخسف).

٣- جاء في بعض الأحاديث إنَّ ريحًا سوداء تهب، فتجعل معسكرات أعداء الإمام المهدي كأعجاز نخل حاوية.[٤٠]

وقصة الخسف في البيداء الذي يحدث لجيش السفياني مدوَّنة في كلِّ المصادر الحديثيَّة السُّنيَّة والشِّيعيَّة بما فيها صحيحا البخاري ومسلم.[٤١]

المسألة السَّابعة: هل تبقى القدس في قبضة اليهود حتى ظهور الإمام المهدي، فتُحرَّر على يديه؟

حينما نقرأ الأخبار التي تتحدّث عن ذلك نجدها عدّة طوائف:

أ- طائفةٌ من الأخبار تتحدّث عن الرّايات السُّود التي تخرج من خراسان، وتُنصب في إيلياء - يعني القدس -.

ب- طائفةٌ من الأخبار تتحدَّث عن قومٍ يبعثهم الله قبل خروج القائم عليه السلام يُقاتلون اليهود.

ج- وطائفةٌ من الأخبار تتحدّث عن دخول جيش الإمام المهدي إلى القدس فاتحًا.

يمكن أن نجمع بين هذه الطوائف من الأخبار على النحو التالي:

---

٣٩. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٤.

٤٠. «فيأمر المهدي عليه السلام ريحًا سوداء، فتهب عليهم، فتجعلهم كإعجاز نخل خاوية». مختصر بصائر الدرجات - الحسن بن سليمان الحلي - ص ١٨٧.

٤١. التاريخ: ٢١ يونيو ٢٠٠٢ م، الموافق: ١٥ شعبان ١٤٢٣ هـ، المكان: مأتم زَيَر، المنامة.

١- وجـود ممهِّديـن للإمام المهـدي يُقاتلون اليهـود، ويُنزلون بهـم هزائم كبيرة، ويُحرِّرون القدس، إلَّا أنَّ هذا لا يعني الانتهاء الكامل لدولة اليهود في فلسطين.

٢- وحينمـا يظهر السفيـاني تقع فلسطين والقدس تحت قبضتـه، ومن الواضح أنّ السفيـاني يُمثِّل خطَّ الضّلال والانحراف في داخـل المسلمين، ومن الطبيعي أن تكون له علاقـاتٌ وارتباطاتٌ بالغرب وباليهود، ممّا يدفع اليهـود إلى ينشطوا ويُعيدوا وجودهم القـوي في فلسطين بعد الهزائم المنكرة التي لاحقتهم علـى أيدي القوى الممهِّدة لظهور الإمام المهدي عليه السلام، وحدَّت من قدراتهم وكبريائهم.

٣- وأمّـا الرايات السُّـود التي تنزل (إيلياء) - يعني القدس -، فيُحتمل أنّها طلائع مـن جيشـ الإمام المهدي تصل إلى القدس إلّا أنّهـا لا تحرِّرها تحريرًا كاملًا من جيش السفياني، ومن بقايا اليهود.

٤- أمَّا التحرير الكامل للقدس، وإنهاء الوجود اليهوديّ في فلسطين، فيكون على يد الإمام المهدي عليه السلام.[٤٢]

المسألة الثَّامنة: إشكالية العمر الطَّويل

المسألة يمكن أن نستوعبها من خلال مجموعة أدلَّة، أشير هنا إلى واحد منها، وهو:

لا يوجـد دليـل علمي يمنـع إمكانية بقـاء الإنسان حيًّا لمـدة طويلة، تتجـاوز العمر المألـوف، بل المحاولات العلميَّـة تتجه؛ لإثبات إمكانية أن يعيشـ الإنسان لمدة أطول من العمـر المألـوف إذا استطاع أن يكـوِّن لنفسه مواصفات موضوعيَّـة تحميه من المؤثرات الخارجية.

---

٤٢. التاريـخ: ١٣ أكتوبـر ٢٠٠٩م، الموافـق: ١٨ شـوال ١٤٣٠هـ، المناسبـة: حديث الجمعة: ٢٠٨، المكان: مسجـد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

ولا يتنافى هذا مع (مسالة الأجل)، وهي من المسلَّمات الإيمانية.

إنَّ (الأجل) خاضع لشروط موضوعية، وإلَّا كيف يمكن أن نفهم الروايات التي تؤكِّد إمكانية طول العمر، وقصره نتيجة للقيام بعض الأعمال والممارسات:

- الصَّدَقَة تحفظ الإنسان.

- صِلة الأرحام تطيل الأعمار.

- قَطِيعة الرَّحِم تخزم الآجال.

- الدُّعاء يدفع البلاء.

- تناول بعض المأكولات والمشروعات يسرع بالآجال.

صحيح أنَّ كلَّ المؤثِّرات في الأجل هي خاضعة لعلم الله تعالى، فالحصيلة النهائية لعمر الإنسان ثابتة في اللوح المحفوظ عند الله تعالى.[٤٣]

٤٣. التاريخ: ٣٠ أغسطس ٢٠٠٨ م، الموافق: ١٧ شعبان ١٤٢٨هـ، المناسبة: حديث الجمعة: ١٥٣، المكان: مسجد الإمام الصَّادق عليه السلام بالقفول.

خاتمة

مشروع دراسة

أيُّهـا الأحبـة في الله، لا زال العلماء والدارسون والمهتمون بشـؤون الفكر الإسلامي يجـدون في قضية الإمام المهدي مجالًا خَصبًا للبحث والدراسة والكتابة، ورغم ما توّفر عليـه تاريخُ هذه القضية من معالجاتٍ ودراساتٍ وأبحاث، إلَّا أنّها بقيت مثالًا للجدلِ في إشكاله العلمية تارة، وفي سياقاته المتعصبة أخرى.

ومـن خلال قـراءة راصدةٍ لـكل النتاجات والكتابـات التي حاولـت أن تتناول هذه المسألة - سلبًا أو إيجابًا -، فإنه يمكن أن نكتشف ثلاثة اتجاهاتٍ متعددة:

الاتِّجاه الأوَّل: الاتِّجاه النَّافي لوجود الإمام المهدي

هـذا الاتجاه لا يعترف بصحة الفكرة، ولا يؤمـن بوجودها ضمن منظومة المفاهيم والتصـورات الإسلاميـة، وإذا كان لهـذه الفكرة حضور في ذهنيـة المسلمين، فهو بفعل تسربـات مـن موروثات دخيلة علـى فكر المسلمـين، استطاعت نتيجة غيـاب الوعي أن تقتحم ثقافة الأمَّة.

وفي ضـوء هـذه القناعـة، فقد اعتبر هـذا الاتجاه مجموعـة الروايـات والأحاديث الـواردة في المهدي رواياتٍ وأحاديـث موضوعةٌ ومكذوبةٌ علـى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وهي مـن نتاج العقل الشيعي، ومنه تسربت إلى العقل الإسلامي العام بسبب الغَفْلة والتهاون والتساهل في نقد ومحاسبة الأخبار.

ولعـل أوَّل مَـن تبنَّى هذه الاتجاه العلامة ابن خلـدون في مقدمته المعروفة، وسار في هذا المنحى الرافض لفكرة المهدي عدد من الكتاب المتأخرين[٤٤] منهم:

٤٤. للاطلاع على كلماتهم، يمكن مراجعة كتاب (الإمام المنتظر قراءة في الإشكاليّات) للسيد عبد الله الغريفي، ج١ ص٢٦ - ٣٤.

- الدكتور أحمد أمين المصري.

- الشيخ محمد رشيد رضا.

- الشيخ محمد أبو زهره.

- الشيخ عبد الله بن زيد المحمود.

- وبعض المستشرقين.

ويمكن - في ضوء القراءة الراصدة - القولُ بأن هذا الاتجاه هو أقل الاتجاهات نصيبًا عند العلماء والمفكرين والباحثين المسلمين؛ كونه لا يملك أيَّ مبرر موضوعي، ولا يحمل أيَّ سند علمي، وقد تصدَّى للرد على هذا الاتجاه، والبرهنةِ على فساده وبطلانه كتَّاب وباحثون وعلماء من مختلف المذاهب الإسلامية.

فغياب المبررات العلمية، والتاريخية، والموضوعية أعطت هذا الاتجاه ضمورًا وخواءً وإفلاسًا، ولعل وراء هذا الاتجاه دوافع سياسية، ودوافع مذهبية - ليس هنا محل بحثها -.

أنا الآن في صدد إعداد دراسة علمية موسعة بعنوان: (الإمام المنتظر قراءة في الإشكاليَّات)، حاولت فيها معالجة أهم الإشكاليات التي واجهت مسألة الإمام المنتظر بكل ما تحمله هذه الإشكاليات من صياغات متعددة.

ولازلتُ عاكفًا على هذه الدراسة، والتي بدأتها [منذ فترة]، أسأل الله تعالى - وببركة الإمام المهدي - أنْ يمنحني التوفيق والتسديد والوقت؛ لإنجاز هذا المشروع وهو بضاعة مزجاة متواضعة أقدمها بين يدي مولاي بقية الله في الأرض (أرواحنا لتراب مقدمه الفداء).

وقد حاولت في هذه الدراسة اعتماد القراءات السنديَّة للروايات والأحاديث، الأمر

الذي يكاد يكون مفقودًا في أغلب الكتابات التي تناولت قضية الإمام المهدي.[٤٥]

ولعل الكثير من الرافضين للفكرة من الكتّاب المتأخرين يؤكدون على إشكالية السَّند، واتهام الأحاديث بالضعف السندي، وقد توفَّقت لدراسة عدد كبير من الأحاديث،

---

٤٥. لقد تمَّ بحمد الله سبحانه وتعالى إصدار الدّراسة العلميَّة تحت عنوان: (الإمام المنتظر .. قراءة في الإشكاليَّات)، حيث طرحت ثلاث إشكاليَّات:

الإشكاليَّة الأولى: إشكاليَّة السَّند.

حيث حاولت هذه الدّراسة أنْ تكشِّف من القراءات السَّنديَّة للأخبار والرّوايات، ممَّا شكَّل صبغة واضحة لهذه الدّراسة.

وقد تمَّ في هذه الإشكاليَّة مناقشة أربعة عناصر شكَّلت مكوِّناتها السَّنديَّة، وهي:

العنصر الأوَّل: الضعف السندي.

العنصر الثَّاني: إعراض الشيخين البخاري ومسلم عن بعض النصوص.

العنصر الثَّالث: الاختلاف والتعارض.

العنصر الرَّابع: اتّهام الشّيعة بوضع أحاديث المهدي.

الإشكاليَّة الثَّانية: إشكاليَّة الولادة.

وذلك ضمن السَّند الدّينيّ، حيث تم تناول الأدلَّة العامَّة كـ:

أ- حديث: «الأئمة اثنا عشر».

ب- حديث: «مَن مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليَّة».

ج- حديث: «لا تخلو الأرض من حجة».

د- حديث الثقلين.

وفي سياق المعالجة تمت مناقشة عنصرين شكَّلا مكونين لإشكالية الولادة، وهما:

العنصر الأوَّل: النَّظريَّة الشّيعيَّة لا تمتلك سندًا دينيًّا!

العنصر الثاني: النظريَّة لا تمتلك سندًا تاريخيًّا!

الإشكاليَّة الثَّالثة: إشكاليَّة العمر الطويل.

وذلك ضمن السَّند الديني من السُّنَّة، حيث تم تناول منظومة الأحاديث العامة - الآنفة الذّكر -، ولكن وفق تكييف استدلالي آخر.

وأخذ البحث عمليَّة (تكرار التوثيقات الرجالية)؛ من أجل تكريس القيمة الواضحة لرواة الأخبار والأسانيد.

وفي سياق المعالجة تمت الإجابة عن سبعة إشكالات:

الإشكال الأول: الإشكال الديني.

الإشكال الثاني: الإشكال العقلي.

الإشكال الثالث: الإشكال العلمي.

الإشكال الرابع: الإشكال العقيدي.

الإشكال الخامس: الإشكال التاريخي.

الإشكال السادس: الإشكال العملي.

الإشكال السابع: الاختلاف حول الغَيبَة.

وقد صدرت هذه الدراسة العلميَّة بواقع ستَّة أجزاء بحلّة جميلة في طبعتها الأولى من سنة ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م عن طريق:

أ- مكتب سماحة العلَّامة السَّيِّد عبد الله الغريفي، السَّهلة الشَّماليَّة - البحرين.

ب- دار السَّلام، بيروت - لبنان.

ج- مركز ابن إدريس الحلي، النَّجف الأشرف - العراق.

واستطعت أن أبرهن على سلامتها من الناحية السَّنديَّة، وفق المعايير المعتمدة في نقد الأحاديث، كما هي عند أئمة الجرح والتعديل من علماء السنة.

إشكالية إعراض الشيخين

١. الصحيحان لم يستوعبا كلَّ الأحاديث الصحيحة.[٤٦]

٢. في أحاديث المهدي ما يتوفر على الشروط المعتمدة عند الشيخين.[٤٧]

٣. الأحاديث التي توفرت على صحة الإسناد، ولم يخرجها البخاري ومسلم.[٤٨]

---

٤٦. نذكر بعض الشَّواهد:

أ- قال البخاري في مقدمته: «ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صحَّ، وتركت من الصحاح لحال الطول».

صحيح البخاري (المقدمة) - البخاري - ج١ ص ٢٢.

ب- قال أبو عمرو في كتابه (علوم الحديث): «وروينا عن مسلم أنه قال: ليس كل شيئ عندي صحيح وضعته ههنا - يعني في كتابه الصحيح - إنما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه».

علوم الحديث - ابن الصلاح أبو عمرو - ص ٢٠.

ولمزيد من الاطلاع على الشَّواهد الأخرى يمكن مراجعة كتاب (الإمام المنتظر قراءة في الإشكاليات)، للسيد عبد الله الغريفي - ج١ ص ١١ - ١٥.

٤٧. نذكر بعض الشَّواهد:

أ- عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم): «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلمًا وجورًا وعدوانًا، ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وعدوانًا».

أخرج الحديث الحاكم في المستدرك (٤: ٦٠٠ حديث ٨٦٦٩/٣٧٧)، وعقَّب عليه بقوله: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرّجاه».

٢- عن ثوبان، قال: قال رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم) - وذكر حديثًا جاء فيه: «فإذا رأيتموه، فبايعوه ولو حبوًا على الثَّلج، فإنَّه خليفة الله، المهدي».

في الزوائد: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، ورواه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(سنن ابن ماجه - ابن ماجه - ج٢ ص ١٣٦٧ ح ٤٠٨٤).

ولمزيد من الشَّواهد يمكن مراجعة كتاب (الإمام المنتظر قراءة في الإشكاليات)، للسيد عبد الله الغريفي - ج١ ص ١٦ - ٢٦.

٤٨. نذكر بعض الشَّواهد:

أ- عن أبي الطفيل: سمعت عليًا عليه السلام يقول: «قال رسول الله (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم): لو لم يبقَ من الدُّنيا إلا يوم، لبعث الله (عزَّ وجلَّ) رجلًا منَّا، يملأها عدلًا، كما ملئت جورًا».

الحديث أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٢: ١١٧/ ٧٧٣)، وقد عقَّب محقّق المسند أحمد محمد شاكر على الحديث بطريقيه: «إسناداه صحيحان».

ب- عن زر عن عبد الله عن النَّبيِّ (صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم): «لا تقوم السَّاعة حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي». أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٥: ١٩٦/ ٣٥٧١)، وقد عقَّب عليه أحمد محمد شاكر بقوله: «إسناده صحيح».

ولمزيد من الشَّواهد يمكن مراجعة كتاب (الإمام المنتظر قراءة في الإشكاليات)، للسيد عبد الله الغريفي - ج١ ص ٢٦ - ٣٠.

٤. أحاديث صرح العلماء الحفَّاظ بنسبتها إلى أحد الصحيحين، إلا أنها غير مدونة في الطبعات المتداولة.[٤٩]

٥. في الصحيحين، أو أحدهما وردت أحاديث في شأن المهدي المنتظر:

«كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم».[٥٠]

أجمع شرَّاح البخاري ومسلم أن المقصود بـ(الإمام) هو الإمام المهدي.

٦. هل يبرر عدم ذِكر قضية المهدي في الصحيحين رفض القضية.

قضية العشرة المبشرين بالجنَّة من المسلَّمات في الفكر السُّنِّي.

الاتِّجاه الثَّاني: هذا الاتجاه لا ينحى المنحى الأول الرافض للفكرة تمامًا، حيث إنَّ الحشد الكبير من النصوص الإسلامية الصحيحة لا يسمح بهذا الرفض

لذلك تشكَّل هذا الاتجاه الثاني القائل بصحة فكرة الإمام المهدي، وأنه المصلح الذي سوف يظهر في آخر الزمان، فيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، كما يعترف هذا الاتجاه بأنَّ المصلح هو من ذرية الرسول الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

---

٤٩. حديث: «المهدي حق وهو من ولد فاطمة».
وقد صرَّح بوجود الحديث في صحيح مسلم، وأخرجه عدد من العلماء عنه منهم:
أ- ابن حجر الهيتمي حيث قال في الصواعق المحرقة (ب١١، ف١، ص١٦٣) بعد ذكر حديث «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»: أخرجه مسلم، وأبو داوود، والنسائي، وابن ماجه، والبيهقي، وآخرون.
ب- المتقي الهندي: جاء في كنز العمال (١٤: ٢٦٤، ح٣٨٦٦٢): أخرجه أبو داوود، ومسلم، عن أم سلمة: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة».
لمزيد من الاطلاع يمكن مراجعة كتاب (الإمام المنتظر قراءة في الإشكاليات)، للسيد عبد الله الغريفي - ج١ ص ٣٠.
٥٠. صحيح البخاري - البخاري - ج ٤ ص ١٤٣- صحيح مسلم - مسلم النيسابوري - ج ١ ص ٩٤.

وما يميز هذا الاتجاه أنَّه يعتقد بأنَّ الإمام المهدي المبشر به في الأحاديث والروايات سوف يولد في آخر الزمان خلافًا للاتجاه الثالث الذي يؤمن بالولادةِ والغَيْبَةِ.

الاتِّجاه الثَّاني هو المعتمد عند أغلب العلماء والباحثين ورجال الحديث من أهل السُّنَّة كما تؤكد ذلك الكتابات والدراسات والمدونات الحديثية عند هؤلاء، ويدَّعي هذا الاتجاه أنَّ القول بفكرة الولادة والغَيْبَة لا يملك سندًا دينيًّا، ولا سندًا تاريخيًّا، ولا سندًا عقليًّا.

وقد حاولت في دراستي: (الإمام المنتظر إشكاليات وردود) أنْ أمارس نقدًا علميًّا لهذه الإشكالات، وقد توصلت إلى عدة نتائج:

١. مسألة الغَيْبَة والانتظار ليست نظرة شيعية، واستعرضت قائمة كبيرة بأسماء العلماء الكبار من أهل السنة يؤمنون بالولادة والغَيْبَة.

٢. توفر السند الديني على صحة الولادة والغَيْبَة، وهنا حاولت أن أتوفر على دراسة عدد كبير من الأحاديث والروايات، وثبت لديَّ صحتها وسلامتها من الناحية السندية.

٣. توفر السند التاريخي للفكرة، وقد اعتمدت الدراسة على مجموعة كبيرة من المثبتات التاريخية.

٤. وأما الإشكال العقلي، فقد عالجته الدراسة معالجة تفصيلية.

الاتِّجاه الثَّالث: ويتشكل هذا الاتجاه - كما ألمحنا من خلال الحديث عن الاتجاه الثَّاني - من فكرتين: الولادة، والغَيْبة

فمسألة الإمام المهدي - وفق المنظور الثالث - ليست حالةً افتراضيةً تنتظر التجسُّد في مستقبل الزمن - كما هو المنظور الثاني -، وإنَّما هي حقيقة موضوعية لها تجسّد

فعلـي، بدأ في منتصف القـرن الثالث الهجري حينما وُلد الإمام محمد بن الحسن آخر المنظومة الاثني عشريَّة من أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وقد اعتمد هذا الاتجاه مجموعة نصوص دينية، كونت لديه القناعة بصحة ما تبناه من اعتقاد.

ويعتبر الرأي الشيعي هو المعبِّر عن هذا الاتجاه، ويشاركه عدد ليس قليلًا من علماء المذاهب الأخرى.

وقد عالجت الدراسة هذه المسألة - بالتفصيل - الاتجاه الثالث في صياغته العلمية.

كيف تعاطت الذهنية الشيعية مع فكرة الإمام الغائب؟

وكيف عاش الواقع الشيعي فكرة الانتظار؟

هناك أشكال متعدِّدة لهذا التعاطي والمعايشة.

ويمكن أن نوجزها ضمن الأشكال التالية:

الشَّكل الأوَّل: التعاطي الاسترخائي

هذا الشكل من التعاطي فهِم الانتظار حالة روحية بحتة.

وفي ضوء هذا الفهم، أصبحت المعايشة الانتظارية مجرد الدعاء.

ورغم القِيمة الكبيرة للدعاء؛ لتأصيل العمق الروحي والنفسي والوجداني مع قضية الإمـام المهـدي إلا أن الانتظار - وفق هذا الفهم - أنتج حالـة من الاسترخاء في الواقع الشيعي، بما لهذا الاسترخاء العملي من مردودات خطيرة على حركة الأمَّة.

الشَّكل الثَّاني: التعاطي التعطيلي

هـذا الشـكل من التعاطـي فهِم الانتظـار حالة من العزلـة والانـزواء، والانكماش والتخلـي عن مسؤوليات الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومسؤوليات الجهاد والتصدي للواقع الفاسد، والواقع المنحرف.

وقد أنتج هذا الفهـم تعطيلًا للدور الرسالي، والدور الاجتماعي، والدور السياسي، والدور التغييري، والدور الجهادي.

الشَّكل الثَّالث: التَّعاطي الانحرافي

وهـذا التعاطـي يمثل حالـة إسفافٍ خطير في فهم الانتظار كونـهُ يرى أنَّ الشرط الموضوعـي لظهور الإمام المهـدي هو امتلاء الأرض بالظلم والفسـاد والضَّلال، فيجب العمـل على توفير هذا الشرط من خـلال الامتناع عن مواجهة الانحرافات، ومن خلال المساهمة في إنتاج الواقع الفاسد.

ولاشـك أنَّ هـذا اللون مـن التعاطي تـروِّج له الاتجاهـات المعاديـة للإسلام، وهو يتناقض بشكل صريح مع الثوابت الإسلامية.

الشَّكل الرَّابع: التَّعاطي الواعي الأصيل

ويتكون هذا الشكل من التعاطي من أربعة عناصر:

العنصر الأول: الترقب الدائم لظهور الإمام المهدي.

العنصر الثاني: الاستعداد الدائم، من خلال:

١- الاستعداد العقيدي.

٢- الاستعداد الروحي.

٣- الاستعداد الفكري والثقافي.

٤- الاستعداد السلوكي.

٥- الاستعداد الاجتماعي.

٦- الاستعداد السياسي.

٧- الاستعداد الرسالي والجهادي.

فـ«مـن سـرَّه أن يكـون مـن أصحاب القائـم، فلينتظـر، وليعمل بالـورع، ومحاسن الأخلاق وهو منتظر».[٥١]

إنَّهم الصلحاء، والنُّجباء، والفقهاء.

«يشتاقون إلى الشهادة، ويتمنون أن يقتلوا في سبيل اللّه».[٥٢]

«رجال كأنَّ قلوبهم زبر الحديد، لا يشوبها شك في ذات اللّه».[٥٣]

«رجال لا ينامون الليل، لهم دويٌّ في صلاتهم كدويِّ النَّحل».[٥٤]

«رهبانٌ في اللَّيل، ليوثٌ في النَّهار».[٥٥]

«إنَّ أصحاب القائم شبابٌ لا كهول فيهم إلّا كالكحل في العين».[٥٦]

٥١. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٢٠٧.
٥٢. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٣٠٨.
٥٣. المصدر نفسه.
٥٤. المصدر نفسه.
٥٥. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٢ ص ٣٠٨.
٥٦. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - ص ٣٣٠.

«ويبايعه بين الرُّكن والمقام ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا من الأخيار، كلهم شبَّان، لا كهل فيهم».[٥٧]

العنصر الثَّالث: الارتباط الفعلي بالقيادة النائبة في عصر الغَيْبَة - القيادة الفقهائيَّة الأمينة الكفوءة -.

العنصر الرَّابع: التَّوطئة والتَّهيئة؛ لظهور الإمام المهدي من خلال:

١. إعداد الكفاءات المؤهلة.

٢. إعداد الأرضية المساندة.

٣. إعداد الأجواء النفسية والفكرية والسياسية.[٥٨]

٥٧. ينابيع المودة لذوي القربى - القندوزي - ج ٣ ص ٢٢٠.

٥٨. التاريخ: ١٣ أغسطس ٢٠٠٨ م، الموافق: ١٥ شعبان.

المراجع والمصادر

١. القرآن الكريم.

٢. الكافي - الشيخ الكليني- تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري - الطبعة: الخامسة - سنة الطبع: ١٣٦٣ ش - المطبعة: حيدري - الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران.

٣. الغيبة - الشيخ الطوسي - تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، الشيخ علي أحمد ناصح - الطبعة: الأولى - سنة الطبع: شعبان ١٤١١ هـ - المطبعة: بهمن- الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية - قم المقدسة.

٤. كمال الدين وتمام النعمة - الشيخ الصدوق- الوفاة: ٣٨١- تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري - سنة الطبع: محرم الحرام ١٤٠٥ هـ - ١٣٦٣ ش - الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٥. كتاب الغيبة - محمد بن إبراهيم النعماني - تحقيق: فارس حسون كريم - الطبعة: الأولى - سنة الطبع: ١٤٢٢هـ - المطبعة: مهر - قم- الناشر: أنوار الهدى.

٦. بحار الأنوار - العلامة المجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي - الطبعة: الثانية المصححة - سنة الطبع: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - الناشر: مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان - ملاحظات: دار إحياء التراث العربي.

٧. الملاحم والفتن - السيد ابن طاووس - الوفاة: ٦٦٤ - الطبعة: الأولى - سنة الطبع: ١٥ شعبان ١٤١٦ هـ - المطبعة: نشاط - أصفهان - الناشر: مؤسسة صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

٨. تفسير العياشي – محمد بن مسعود العياشي – الوفاة: ٣٢٠ – تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسولي المحلاتي – الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية – طهران.

٩. معالم المدرستين – السيد مرتضى العسكري – سنة الطبع: ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠م – الناشر: مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.

١٠. الأنوار البهية – الشيخ عباس القمي – الوفاة: ١٣٥٩ – الطبعة: الأولى – سنة الطبع: ١٤١٧ هـ – الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

١١. خلاصة الأقوال – العلامة الحلي – الوفاة: ٧٢٦ – تحقيق: الشيخ جواد القيومي – الطبعة: الأولى – سنة الطبع: عيد الغدير ١٤١٧ هـ – المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي – الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة.

١٢. دلائل الإمامة – محمد بن جرير الطبري – الوفاة: ق ٤ – تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية – مؤسسة البعثة – قم – الطبعة: الأولى – سنة الطبع: ١٤١٣ هـ – الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.

١٣. شرح إحقاق الحق – السيد المرعشي – الوفاة: ١٤١١ – تحقيق: تعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي – الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي – قم – ايران.

١٤. المستدرك – الحاكم النيسابوري – الوفاة: ٤٠٥ – تحقيق: إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.

١٥. مسند احمد – احمد بن حنبل – الوفاة: ٢٤١ – الناشر: دار صادر – بيروت – لبنان.

١٦. كتاب الفتن - نعيم بن حماد المروزي - الوفاة: ٢٨٨ - تحقيق: تحقيق وتقديم: الدكتور سهيل زكار - سنة الطبع: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م - الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

١٧. روضة الواعظين - الفتال النيسابوري - الوفاة: ٥٠٨ - تحقيق: تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان - الناشر: منشورات الشريف الرضي - قم - إيران.

١٨. تاريخ المدينة - ابن شبة النميري - تحقيق: فهيم محمد شلتوت - سنة الطبع: ١٤١٠ هـ - ١٣٦٨ ش - المطبعة: القدس - قم - الناشر: دار الفكر - قم - إيران.

١٩. اختيار معرفة الرجال - الشيخ الطوسي - الوفاة: ٤٦٠ - تحقيق: تصحيح وتعليق: مير داماد الأسترابادي/ تحقيق: السيد مهدي الرجائي - الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٢٠. اختيار معرفة الرجال - الشيخ الطوسي - الوفاة: ٤٦٠ - تحقيق: تصحيح وتعليق: مير داماد الأسترابادي / تحقيق: السيد مهدي الرجائي - الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٢١. ينابيع المودة لذوي القربى - القندوزي - الوفاة: ١٢٩٤ - تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني - الطبعة: الأولى - سنة الطبع: ١٤١٦ هـ - المطبعة: أسوه - الناشر: دار الأسوة للطباعة والنشر.

٢٢. دعائم الإسلام - القاضي النعمان المغربي - الوفاة: ٣٦٣ - تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي - سنة الطبع: ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م - الناشر: دار المعارف - القاهرة.

٢٣. شرح المقاصد في علم الكلام - التفتازاني - الوفاة: ٧٩١ - الطبعة: الأولى -

سنة الطبع: ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م - المطبعة: باكستان - دار المعارف النعمانية - الناشر: دار المعارف النعمانية.

٢٤. سنن ابن ماجة - محمد بن يزيد القزويني - الوفاة: ٢٧٣ - تحقيق: تحقيق وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي - الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٥. الدر المنثور - جلال الدين السيوطي - الوفاة: ٩١١ - الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

٢٦. سنن الترمذي - الترمذي - الوفاة: ٢٧٩ - تحقيق: تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان - الطبعة: الثانية - سنة الطبع: ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م - الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

٢٧. صحيح البخاري - البخاري - الوفاة: ٢٥٦ - سنة الطبع: ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م - الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - ملاحظات: طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة بإستانبول.

٢٨. صحيح مسلم - مسلم النيسابوري - الوفاة: ٢٦١ - الناشر: دار الفكر - بيروت - لبنان - ملاحظات: طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة.

٢٩. مصباح المتهجد - الشيخ الطوسي - الوفاة: ٤٦٠ - الطبعة: الأولى - سنة الطبع: ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م - الناشر: مؤسسة فقه الشيعة - بيروت - لبنان.

٣٠. تفسير جوامع الجامع - الشيخ الطبرسي - الوفاة: ٥٤٨ - تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي - الطبعة: الأولى - سنة الطبع: ١٤٢١ هـ - المطبعة: مؤسسة النشر الإسلامي - الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٣١. شـرح إحقاق الحق – السيد المرعشي – ج ١٣ – تحقيق، تعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي – الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي – قم – ايران.

٣٢. البيان في أخبار آخر الزمان – الحافظ **الگنجي** الشافعي – طبعة النجف. نقله عنه كتاب شرح إحقاق الحق – السيد المرعشي – ج ١٣ – ص ١١٢.

٣٣. مختصر بصائر الدرجات – الحسن بن سليمان الحلي – ص ١٨٧ – الوفاة: ق ٩ – الطبعة: الأولى – سنة الطبع: ١٣٧٠هـ – ١٩٥٠ م – الناشر : منشورات المطبعة الحيدرية – النجف الأشرف.

٣٤. الكامـل في التاريـخ – ابـن الأثـير– الوفـاة: ٦٣٠ – سنة الطبـع: ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م – المطبعـة: دار صـادر – دار بـيروت – الناشر: دار صـادر للطباعة والنشر – دار بيروت للطباعة والنشر.

٣٥. تاريـخ ابن خلدون – ابن خلدون – الوفاة: ٨٠٨ – الطبعة: الرابعة – الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت – لبنان.

٣٦. مقدمة ابن خلدون – عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون – الناشر: مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت – لبنان.

٣٧. إبـراز الوهم المكنون من كلام ابن خلدون (المرشـد المبدي لفساد طعن ابن خلدون في أحاديث المهدي) – أحمد بن محمد بن الصِّديق الغِماري.

٣٨. الـرد على من كـذَّب بالأحاديـث الصحيحة الواردة في المهـدي – محاضرة للأستـاذ عبد المحسن العبَّاد – نشرت في مجلـة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنـورة – الأعداد من (١) حتى (٤٦) السنـة الثانية عشرة ١٤٠٠ هـ – الرد رقم (١٠).

٣٩. الإمـام المنتظر قـراءة في الإشكاليات - السيد عبـد الله الغريفي - الطبعة: الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م - الناشر: مكتب العلامة السيد عبد الله الغريفي بالتعـاون مع مركـز ابن إدريـس الحلي للتنميـة الفقهيـة والثقافية بالنجف الأشرف - الطباعة: دار السلام - بيروت - لبنان.

٤٠. ضحى الإسلام - أحمد أمين.

٤١. لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر - عبد الله بن زيد المحمود.

٤٢. الإمام الصادق - محمد أبو زهرة.

٤٣. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.

٤٤. صحيـح البخاري - البخاري - تحقيق الدكتـور مصطفى البغا، دار القلم - دمشق، بيروت - لبنان.

٤٥. علـوم الحديث - ابـن الصلاح الشهرزوري - الطبعـة الثالثة - دار الفكر - دمشق.

٤٦. المستـدرك على الصحيحـين - الحاكم النيسابـوري - بإشراف يوسف عبد الرحمـن المرعشلي، الطبعة الأولى، سنـة الطبع: ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م - (دار المعرفة - بيروت - لبنان)، (دار الكتب العلمية - بيروت).

٤٧. مسنـد أحمـد بـن حنبـل- أحمد بن حنبـل - دار إحيـاء الـتراث العربي - بيروت - لبنان.

٤٨. الصواعق المحرقة - ابن حجر الهيثمي - الطبعة الأولى - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

٤٩. ينابيع المودَّة لذوي القربى – القندوزي – الطبعة الأولى – ١٤١٦ هـ – تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر.

٥٠. كتاب الغيبة، الطوسي – الطبعة الأولى، سنة الطبع: شعبان ١٤١١هـ، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة – إيران.

٥١. أحمد بن محمد بن خالد البرقي تحقيق: تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني (المحدث)، سنة الطبع: ٠٧٣١ هـ – ٠٣٣١ ش، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران – إيران.

٥٢. المصنف – ابن ابي شيبة – ج٨ – ص ٨٧٦ – ح ٣٩١– الطبعة الأولى – سنة الطبع: ٩٠٤١هـ – ٩٨٩١م – الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – لبنان.

إنَّنا في حاجة أنْ نعطي للإمام المنتظر حضوره في كلِّ واقعنا، خاصَّة والعالم يشهد إرهاصات ربما تشكِّل إرهاصات الظُّهور.

العلَّامة السَّيِّد عبد الله الغريفي

نرحب بتواصلكم معنا، وبكل ملاحظاتكم واقتراحاتكم:

هـــاتـــف: ١٧٥٩٢٦٧٢ مبنى٤٠ ، طريق ٤٨ ، مجمع ٤٤٤ ،

فـــاكس: ١٧٥٩٦٥٤٠ حلة العبد الصالح - مملكة البحرين

الإدارة النسويّة: ١٧٥٩٢٦٧٣ البريد الإلكتروني: info@olamaa.net

OlamaaNet OlamaaBH OlamaaBH OlamaaBH